Al-Malahem Media
الملاحم للإنتاج الإعلامي

تشويق العباد

إلى فضائل الجهاد

للشيخ: حمد بن حمود العثمان التميمي



بسم الله الرحمن الرحيم

"مقدمة الشيخ إبراهيم بن سليمان الربيش"

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله أفضل الأعمال، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والآيات والأحاديث في فضائل الجهاد كثيرة جدا، ولقد تنوعت أساليب النصوص مرغبة في الجهاد، فمنها الأمر المباشر الصريح كما في قوله سبحانه: "انفروا خفافا وثقالا" وهناك إنكار القعود كما في قوله تعالى: "مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض" ،وهناك الوعيد على ترك الجهاد كما في قوله سبحانه: "إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما" وهناك وصف تارك الجهاد بالنفاق كما في قوله عليه الصلاة والسلام: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق) وهناك ترتيب المغفرة والنجاة من العذاب ودخول الجنة على الجهاد في سبيل الله كما في قوله سبحانه: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم عل تجارة تنجيكم من عذاب أليم....الآيات ".

وتتبع فضائل الجهاد يطول، وحسب المؤمن أن الله أمر به، وأن رسوله صلى الله عليه وسلم سنه ليستجيب للأمر ويسارع إلى الطاعة، ولكن النفس تضعف عن الطاعة، خصوصا عند إعراض الأمة عن الجهاد، مع شدة التحالف العالمي ضد الجهاد في سبيل الله، فتحتاج النفس إلى مزيد من الترغيب والتذكير بالفضائل لعلها تستجيب لأمر الله.

وهذا كتاب: (تشويق العباد إلى فضائل الجهاد) من تأليف الشيخ حمد التميمي، جمعه فأحسن، وبوبه فأجاد التبويب، ليس بالطويل الممل، ولا القصير المخل، وهو كتاب ضمن مجموعة كتب قد ألفها في الجهاد وفضائله وبعض ما يتعلق به.

وقد طلب مني -عفا الله عنه- أن أقدم لكتابه، فاعتذرت إليه بأن اللائق بمثلي أن تقدم له أنت، وليس العكس، ولكن مع طلبه لم أجد بدا من الإجابة.

كما لا يفوتني أن أذكر من قرأه أن يبادر إلى إجابة داعي الجهاد، فإنما ثمرة العلم العمل، وما فائدة معرفة فضائل الجهاد إذا لم يحصل في نفس العبد شوق لتحصيلها، فإذا اشتاقت النفس فإما أن تكون قادرة فتسعى لتحصيل تلك الفضائل، وإما أن تكون عاجزة فلها سلوى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر) وبقوله صلى الله عليه وسلم: (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) رواهما مسلم.

إبراهيم بن سليمان الربيش

المقدمة

الحمد لله الذي يأتي بالفتح وهو الفتاح العليم ، والحمد لله الذي يفتح بين الناس بالحق وهو خير الفاتحين ، والحمد لله الذي يفتح الفتح المبين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أحب صلاة إليه وأرضاها عنده ، أما بعد :

فإن الجهاد في سبيل الله عبادة من العبادات العظيمة في الإسلام ، بل عدها بعضهم الركن السادس من أركان الإسلام ، وقد ورد فيه من الفضائل والثواب ما لا يحصى كثرة ، بل لم يرد في أي عبادة أو طاعة من الفضائل كما ورد فيه ، وهذا أمر مشاهد لمن استقرأ النصوص الشرعية ، ولما كان لعرض فضائل العمل والعبادة على المكلف الأثر الكبير في التحفز لعملها والإقدام عليها وإزالة الفتور والكسل والعوائق في طريقها والثبات على تلك العبادة وعدم تركها ، استخرت الله تعالى في تأليف كتاب في ذلك يجمع شتات النصوص الشرعية ويرتبها ، تحفيزا للقاعدين ، وتثبيتا للمجاهدين .

ولفضائل الجهاد وفقهها أهمية أجملها في النقاط التالية :

١. أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على عرض فضائل الجهاد على الصحابة ، فكم هي الأحاديث التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الجهاد ، حتى إنه لم يأت في فضائل عمل كما جاء في الجهاد ، وهذا يبين أهمية هذا الأمر ، وفي عرض تلك الفضائل اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم .
٢. أن الجهاد عبادة فيها مشقة بالغة ، بل هي أشق شرائع الإسلام ، والنفس تأباه طبيعة ، وهو مكروه لها كما قال تعالى " **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** " فلابد أن يجعل لها مرغبات حتى تقبل هذا الأمر وتقبل عليه ، وهذه المرغبات هي الفضائل ، فلو أمر الله تعالى بالجهاد أمرا مجردا عن الفضائل ، ولم يذكر له فضيلة ، لوجدت القليل من الخلق هم المجاهدون ، إذ أن الخروج وفعل الطاعة امتثالا لابد له من إيمان عظيم خصوصا في أمر الجهاد ، وأكثر من يخرج للجهاد إنما يخرج نظرا إلى الفضائل ، وقد جاء عن نافع قال : حُدث ابن عمر أن أبا هريرة رضي الله عنهم يقول :" من تبع جنازة فله قيراط " فقال:" أكثر أبو هريرة علينا " فصدقت – يعني عائشة – أبا هريرة وقالت :"سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقوله " فقال ابن عمر رضي الله عنهما:" لقد فرطنا في قراريط كثيرة " رواه البخاري ، فهنا ابن عمر كان يعلم شرعية اتباع الجنازة ، ولكن كان الذي لا يعلمه هو الفضل

والثواب ، فلما علم بذلك ندم على تركه العمل بذلك ، فالفضائل والمرغبات هي التي تحرك الشخص للعمل ، ومن ذلك الخروج إلى الجهاد ، وهي التي تثبته بعد الله تعالى في درب الجهاد ، وهي التي تثير إيمان الشخص وترفعه ، فكم من شخص رجع عن ساحة الجهاد بسبب ضعف إيمانه ، فمعرفة هذه الأمور لها الأثر الكبير على العبد المجاهد ، بل أعظم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات جعل رجلا من الصحابة ينغمس في الأعداء إلى أن قتل ، فجاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر " **قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض** " قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض قال " **نعم** " قال : بخ بخ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ما يحملك على قولك بخ بخ** " قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها ، قال " **فإنك من أهلها** " فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة – قال – فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل " رواه مسلم .

عن الضحاك في قوله " **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** " قال : فنزلت آية القتال فكرهوها ، فلما بين الله عز وجل ثواب أهل القتال ، وفضيلة أهل القتال ، وما أعد الله لأهل القتال من الحياة والرزق لهم ، لم يؤثر أهل اليقين بذلك على الجهاد شيئا ، فأحبوه ورغبوا فيه ، حتى أنهم يستحملون النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا لم يجد ما يحملهم تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ، والجهاد فريضة من فرائض الله " رواه ابن المبارك عنه في كتاب الجهاد .

٣. أن في فقه هذه الفضائل التعرف على الأعمال الصالحة التي تكون داخل الجهاد وفضلها واحتساب النية والأجر في ذلك ، كأجر الرباط ، وأجر الرمي ، وأجر الحراسة ، وغير ذلك.

وفضائل الجهاد كثيرة جدا ، بل قال ابن النحاس في المشارع " واعلم أن فضائل الجهاد في سبيل الله لا تنحصر " انتهى ، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى في فضائل الجهاد " وهذا باب واسع ، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها ما ورد فيه " انتهى .

وقال ابن القيم في طريق الهجرتين " وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد ، والحض عليه ، ومدح أهله ، والإخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات ، ويكفي في ذلك قوله تعالى:" **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم** " فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة

التي الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم ، فقال:" **تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم** " فكأن النفوس ضنت بحياتها وبقائها فقال:" **ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** " يعنى أن الجهاد خير لكم من قعودكم للحياة والسلامة ، فكأنها قالت : فما لنا في الجهاد من الحظ ؟ فقال:" **يغفر لكم ذنوبكم** " مع المغفرة " **يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم** " فكأنها قالت: هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا ؟ فقال:" **وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ".

فلله ما أحلى هذه الألفاظ ، وما ألصقها بالقلوب ، وما أعظمها جذباً لها وتسييراً إلى ربها ، وما ألطف موقعها من قلب كل محب ، وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيها ، فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم " انتهى .

ونحن هنا نعرض من هذه الفضائل ما تيسر ، وهذا أوان الشروع في ذلك .

الباب الأول : فضائل الجهاد العامة

تمهيد :

الأحاديث الواردة في الجهاد وفضائله ، إما أن تأتي في فضل الجهاد عامة ، بحيث تشمل جميع المجاهدين الذين يطلق عليهم هذا الاسم ، وكلهم يثبت لهم هذا الفضل بمجرد دخولهم في عداد المجاهدين إذا احتسبوا وأخلصوا ، وإما أن تأتي في فضل عمل خاص من أعمال الجهاد ، بحيث لا يثبت هذا الفضل لجميع المجاهدين ، بل يثبت فقط لمن عمله دون غيره ، وفي هذا الباب سندرس القسم الأول وهو فضائل الجهاد العامة التي تثبت لكل مجاهد في سبيل الله .

الفضيلة الأولى: أن الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال على الإطلاق بعد الفرائض :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال :" **الصلاة على ميقاتها** " قلت : ثم أي ؟ قال :" **بر الوالدين** " قلت : ثم أي ؟ قال :" **الجهاد في سبيل الله** " رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية لمسلم : قال : قلت : يا نبي الله أي الأعمال أقرب إلى الجنة ؟ قال :" **الصلاة على مواقيتها** " قلت : وماذا يا نبي الله ؟ قال :" **بر الوالدين** " قلت : وماذا يا نبي الله ؟ قال : " **الجهاد في سبيل الله** ".

وفي رواية له : قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أحب إلى الله ".

وتقديم الصلاة على الجهاد لأنها فريضة ، وتقديم بر الوالدين هنا لأن الأصل في الجهاد أنه فرض كفاية ، وفي بر الوالدين أنه فرض عين ، وعندما يكون الجهاد فرض الكفاية يجب استئذان الوالدين في ذلك ، ولكن عندما يكون الجهاد فرض عين فإنه يقدم على بر الوالدين ولا يشترط إذنهما .

قال ابن حجر في الفتح " فالذي يظهر أن تقديم الصلاة على الجهاد والبر لكونها لازمة للمكلف في كل أحيانه ، وتقديم البر على الجهاد لتوقفه على إذن الأبوين " انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال :" **إيمان بالله ورسوله** " قيل : ثم ماذا ؟ قال :" **الجهاد في سبيل الله** " قلت : ثم أي ؟ قال :" **حج مبرور** " رواه البخاري ومسلم.

وفي هذا أن الجهاد في سبيل الله أفضل من الحج المبرور ، وسيأتي إن شاء في كلام الصحابة ما يؤيد هذا .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال :" **إيمان بالله وجهاد في سبيله** " رواه البخاري ومسلم.

وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، لأن أعلى درجة بعد النبوة هي الصديقية ، وهي كمال الإيمان بالله ورسله كما قال تعالى " **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون** " ويليها درجة الشهادة التي هي من الجهاد ، فذكر الجهاد بعد الإيمان في الفضل لكون الشهادة بعد الصديقية في الفضل .

وقال تعالى " **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين * الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم** " .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال آخر : الجهاد أفضل مما قلتم ، فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت – على النبي صلى الله عليه وسلم – فاستفتيه فيما اختلفتم فيه ، فأنزل الله عز وجل " **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر**" الآية إلى آخرها " رواه مسلم .

جاء في تفسير الخازن في تفسير هذه الآية " يعني أن من كان موصوفاً بهذه الصفات يعني الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام ، وإنما لم يذكر القسم

المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الإطلاق على من سواهم ، والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة " انتهى .

ويقصد بقوله بالقسم المرجوح : سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، فإنه سبحانه لم يذكرها عند المفاضلة في قوله " **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون** " فلم يقل" أعظم درجة من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام " بل أطلق ، فاستنبط من عدم ذكرهم والإطلاق أنهم أفضل على الإطلاق من جميع الأعمال سواء أكان سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أم غيرها من سائر الأعمال .

ففي هذه الآية والحديث يظهر أن الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج على عظمة هذه الأعمال وشرفها بكثير ولا تقارب الجهاد ، فإنه أنكر عليهم مساواتهم بهذه الأعمال للجهاد وقال " **لا يستوون عند الله** ".

قال أبو السعود في تفسيره " **أعظم درجة عند الله** " أي أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان ، وإن حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة " انتهى .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام** " يعني أيام العشر ، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال :" **ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء** " رواه البخاري وأبو داود واللفظ له .

قال الشوكاني في النيل " قوله : " ولا الجهاد في سبيل الله " يدل على تقرر أفضلية الجهاد عندهم " انتهى .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لا ، لكن أفضل الجهاد حج مبرور " رواه البخاري .

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على قولها أن الجهاد أفضل العمل ، لكن بين لها أن النساء ليس عليهن جهاد ، وأن أفضل جهادهن وجهاد الضعفاء هو الحج المبرور .

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال " رواه مسلم .

وفي رواية " فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الجهاد ، فلم يدع شيئا أفضل منه إلا الفرائض " رواه الدارمي .

عن عبد الله بن حبشي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال :" **إيمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحجة مبرورة** " رواه أبو داود والنسائي ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

وعن ماعز أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ قال :" **إيمان بالله وجهاد في سبيله** " ثم أرعدت فخذ السائل فقال : ثم مه ؟ قال :" **ثم عمل أفضل من سائر الأعمال إلا كمثل حجة برة** " رواه أحمد والطبراني في الكبير ، قال المنذري ورواة أحمد إلى ماعز رواة الصحيح وماعز هذا صحابي مشهور غير منسوب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

وعن الشفاء بنت عبد الله وكانت من المهاجرات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الأعمال ، فقال :" **إيمان بالله وجهاد في سبيله وحج مبرور** " رواه أحمد.

وقال عمر رضي الله عنه " عليكم بالحج ، فإنه عمل صالح أمر الله به ، والجهاد أفضل منه " رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس .

وعن عبد الله بن عون قال : كتبت إلى نافع أسأله ما أقعد ابن عمر عن الغزو ؟ قال : فكتب إلي أن ابن عمر كان يغزي ولده ، ويحمل على الظهر ، وما أقعده عن الغزو إلا وصايا عمر وصبيان صغار ، وإن ابن عمر كان يرى الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال بعد الصلاة " رواه البيهقي ، وقوله " بعد الصلاة " أي بعد الصلاة المكتوبة .

قال ابن رجب في فتح الباري " والجهاد أفضل ما تطوع به من الأعمال ، على ما دلت عليه النصوص الصحيحة الكثيرة ، وهو مذهب الإمام أحمد ، وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **أفضل الناس مؤمن آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره** " فهذا نص في أن المجاهد أفضل من المتخلي لنوافل العبادات من الصلاة والذكر وغير ذلك " انتهى .

ويدل أيضا على أن الجهاد أفضل الأعمال ما سيأتي إن شاء الله من الفضائل بأنه لا يعدله شيء من الأعمال في الأجر ، وكذا أن أهل الجهاد هم أفضل الناس ، وهذا لأنهم قاموا بأفضل العمل ، وكذا ما سيأتي إن شاء الله أن الجهاد أعلى مقامات الدين فلا يعلوه شيء من الأعمال .

ولكون الجهاد أفضل العمل ، ولعظم أجوره ، جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **والذى نفس محمد في يده لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزوا في سبيل الله ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة فيتبعوني ، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي** " رواه البخاري ومسلم ، فأراد أن يترك جميع الأعمال التي كان يعملها في المدينة ويخرج مع السرايا لولا العذر الذي ذكره .

قال العراقي في طرح التثريب على هذا الحديث " فيه تعظيم أمر الجهاد " انتهى .

والمقصود بتفضيله هنا هو تفضيله على سائر النوافل عندما لا يكون واجبا وجوبا عينيا ، وعلى سائر فروض الكفايات ، وأما عند يكون واجبا وجوبا عينيا فإنه يقدم على سائر الفرائض إذا لم يمكن الجمع بينهما إلا الصلاة ، وبعض أهل العلم رجح إنه إذا لم يمكن الصلاة أثناء القتال فإنه يقدم القتال وتؤخر الصلاة حتى لو خرج وقتها حفظا لمصلحة الجهاد كما حصل يوم الخندق والله أعلم.

وقد اختلف أهل العلم في أفضل النوافل والتطوع ، فبعضهم ذهب إلى أنه الجهاد ، وبعضهم قال طلب العلم ، وبعضهم قال الذكر ، وغير ذلك ، والأدلة السابقة تدل على أن الجهاد هو أفضل الأعمال مطلقا ، وكذا ما ورد من أجور الجهاد وفضائله بما لم يرد في أي عبادة أخرى يدل على ذلك .

قال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – وذكر له الغزو فجعل يبكي ويقول :" ما من أعمال البر شيء أفضل منه " وقال عنه غيره " ليس يعدل لقاء العدو شيء ، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال ، والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وحريمهم ، فأي عمل أفضل منه ، الناس آمنون وهم خائفون ، قد بذلوا مهج أنفسهم " ذكره صاحب المغني .

قال العز بن عبد السلام في كتابه أحكام الجهاد وفضائله " فإن أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله : الجهاد في سبيل الله ، لما فيه من محق أعداء الله ، وتطهير الأرض منهم ، واستنقاذ أسرى المسلمين من أيديهم ، وصون دماء المسلمين وأموالهم وحرمهم وأطفالهم ، وارتفاق المسلمين بما منحه الله من أراضي الكفار وأموالهم ، وإرقاق حرمهم وأطفالهم .

ولذلك عظم الله فيه أجر الطالب من المسلمين والمطلوب ، والغالب والمغلوب ، والقاتل والمقتول ، وأحيا القتلى فيه بعد مماتهم ، وعوضهم عن حياتهم التي بذلوها لأجله بحياة أبدية سرمدية ، لا يصفها الواصفون ، ولا يعرفها العارفون .

وكذلك لما فارقوا الأهل والأوطان ، أسكنهم في جواره ، وآنسهم بقربه ، بدلا من أنس من فارقوه من أحبائهم لأجله ، فطوبى لمن حصل على هذا الأجر الجزيل في جوار الرب الجليل .

وإنما يحصل ذلك لمن قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى " انتهى .

قال شيخ الإسلام في أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " وجهاد الكفار من أعظم الأعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان ، قال الله تعالى : **" لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما "** " انتهى .

خرج الخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق عن محمد بن الفضيل بن عياض قال : رأيت ابن المبارك في النوم فقلت : أي العمل وجدت أفضل ؟ قال : الأمر الذي كنت فيه ، قلت : الرباط والجهاد ؟ قال : نعم ، قلت : فما صنع بك ربك ؟ قال : غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة .

الفضيلة الثانية: أن المجاهدين هم أفضل الناس:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله** " قالوا : ثم من ؟ قال :" **مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره** " رواه البخاري ومسلم .

قال ابن النحاس في المشارع " وفي هذا الحديث التصريح بأن الجهاد أفضل من العزلة والتفرغ للعبادة ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى " **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله** ..الآية " انتهى .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **ألا أخبركم بخير الناس ؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ألا أخبركم بالذي يتلوه ؟ رجل معتزل في غنيمة له يؤدي حق الله فيها ، ألا اخبركم بشر الناس ؟ رجل يسأل بالله ولا يعطي به** " رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

وفي رواية " **خير الناس منزلة** " .

" عنان فرسه " أي لجام فرسه .

قال الباجي في المنتقى " **خير الناس منزلة** " أكثرهم ثوابا في الآخرة وأرفعهم درجة ، وقوله صلى الله عليه وسلم " **رجل آخذ بعنان فرسه يجاهد في سبيل الله** " يريد والله أعلم أنه مواظب على ذلك ، ووصفه بأنه آخذ بعنان فرسه يجاهد في سبيل الله ، بمعنى أنه لا يخلو في الأغلب من ذلك راكبا له أو قائدا ، هذا معظم أمره ومقصوده من تصرفه ، فوصف بذلك جميع أحواله ، وإن لم يكن آخذا بعنان فرسه في كثير منها " انتهى .

قال ابن عبد البر في التمهيد " وهو من أحسن حديث يروى في فضل الجهاد ، وفي الجهاد من الفضائل على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يحصى ، قد مر منها كثير في كتابنا "انتهى .

وذلك لأنهم قاموا بأفضل العمل وأحبه إلى الله ، فكانوا بذلك خير الناس وأفاضلهم وأعاليهم ، فعندما فضل عمل الجهاد على سائر العمل فضله أهله على سائر الناس .

الفضيلة الثالثة : أن الجهاد في سبيل الله أعلى مقامات الدين وأعلى شيء في الإسلام :

أي هو أفضل وأعلى مقام يقومه العبد في الإسلام فضلا ومكانة ومنزلة وأجرا ومثوبة ، فلا شيء يعلوه من شرائع الإسلام الأخرى ، فعن معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :" **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه** " قلت : بلى يا رسول الله ، قال :" **رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد** " رواه الترمذي والنسائي ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

وأعلى ما في البعير سنامه ، والجهاد في سبيل الله جعل كذروة سنام البعير أي أعلاه ، فهو أعلى شيء ومقام يقومه العبد في الإسلام.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي " " **وذروة سنامه الجهاد** " وفيه إشعار إلى صعوبة الجهاد وعلو أمره وتفوقه على سائر الأعمال ، والجهاد من الجهد بالفتح وهو المشقة أو بالضم وهو الطاقة لأنه يبذل الطاقة في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك " انتهى .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم "وأما ذروة سنامه وهو أعلى ما فيه وأرفعه فهو الجهاد ، وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض كما هو قول الإمام أحمد وغيره من العلماء " انتهى .

وقال ابن النحاس في المشارع " وإنما شبه الجهاد بذروة سنام البعير ، لأن ذروة السنام – وهي أعلاه – لا يعادلها شيء من أجزاء البعير كذلك الجهاد لا يعادله شيء من أعمال الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : " **لا أجده** " وفي رواية:" **لا تستطيعونه** " " انتهى .

وأفضل ما يفسر لنا هذا الحديث هو الحديث الآخر عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال :" **أن يسلم قلبك لله عز وجل وان يسلم المسلمون من لسانك ويدك** " قال : فأي الإسلام أفضل ؟ قال :" **الإيمان** " قال : وما الإيمان ؟ قال :" **تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت** " قال : فأي الإيمان أفضل ؟ قال :" **الهجرة** " قال : فما الهجرة ؟ قال :" **تهجر السوء** " قال : فأي الهجرة أفضل ؟ قال :" **الجهاد** " قال : وما الجهاد ؟ قال :" **أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم** " قال : فأي الجهاد أفضل ؟ قال :" **من عقر جواده وأهريق دمه** " قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ثم عملان هما أفضل الأعمال الا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمرة** " رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات كما قال الهيثمي ، وقال ابن النحاس ورجاله رجال الصحيح .

قال ابن النحاس في المشارع معلقا على هذا الحديث " فانظر رحمك الله كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد خلاصة خلاصة خلاصة الإسلام والشهادة في سبيل الله خلاصة الجهاد وأفضل أنواعه " انتهى .

فمن أراد أفضل العبادات والشرائع وأعلاها فعليه بالجهاد ، فمن اشتغل بسوى الجهاد فقد اشتغل بالأدنى عن الأعلى بصريح النصوص الشرعية ، مهما بلغت هذه العبادة في الفضل والأجر .

قال ابن القيم في الزاد " الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته ، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة ، كما لهم الرفعة في الدنيا ، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة " انتهى .

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة " وأما الجهاد فناهيك به من عبادة هي سنام العبادات وذروتها ، وهو المحك والدليل المفرق بين المحب والمدعى ، فالمحب قد بذل مهجته وماله لربه وإلهه ، متقربا إليه ببذل أعز ما بحضرته ، يود لو أن له بكل شعرة نفسا يبذلها في حبه ومرضاته ، ويود أن لو قتل فيه ثم أحي ثم قتل ثم أحي ثم قتل ، فهو يفدي بنفسه حبيبه وعبده ورسوله ولسان حاله يقول ٠

يفديك بالنفس صب لو يكون له ** أعز من نفسه شيء فداك به

فهو قد سلم نفسه وماله لمشتريها ، وعلم أنه لا سبيل إلى أخذ السلعة إلا ببذل ثمنها " **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون** " وإذا كان من المعلوم المستقر عند الخلق أن علامة المحبة الصحيحة بذل الروح والمال في مرضات المحبوب ، فالمحبوب الحق الذي لا تنبغي المحبة إلا له ، وكل محبة سوى محبته فالمحبة له باطلة ، أولى بأن يشرع لعباده الجهاد الذي هو غاية ما يتقربون به إلى إلههم وربهم ، وكانت قرابين من قبلهم من الأمم في ذبائحهم وقرابينهم تقديم أنفسهم للذبح في الله مولاهم الحق ، فأي حسن يزيد على حسن هذه العبادة ، ولهذا ادخرها الله لأكمل الأنبياء وأكمل الأمم عقلا وتوحيدا ومحبة لله " انتهى .

الفضيلة الرابعة : الجهاد أحب الأعمال إلى الله وأهله أحب الناس إلى الله :

قال تعالى " **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** " .

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قعدنا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه ، فأنزل تعالى " **سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** " قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم" رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ، وقال البوصيري في الاتحاف هذا إسناد رواته ثقات ، والمراد أنه نزلت سورة الصف التي جاءت بذكر محبة الله للذين يقاتلون في سبيله.

فهذا الآية مع الحديث دليل صريح على أن الجهاد أحب الأعمال إلى الله ، وأحب ما يتقرب به العبد إلى الله ، وينبني عليه أن أهله أحب الناس والخلق إلى الله ، لأنهم قد أتوا من الأعمال بأعظم ما يحب .

وإذا كان الجهاد أحب الأعمال إلى الله كان المجاهدون في سبيله أحب الناس إلى الله لأنهم قاموا بأحب العمل إليه ، وقد جاء في صفة الذين يحبهم الله ويحبونه أنهم هم المجاهدون في سبيله ، كما قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** " .

قال شيخ الإسلام في الاستقامة في تعليقه على هذه الآية " وسنام ذلك الجهاد في سبيل الله ، فإنه أعلى ما يحبه الله ورسوله ، واللائمون عليه كثير ، إذ كثير من الناس الذين فيهم إيمان يكرهونه ، وهم إما مخذولون مفترون للهمة والإرادة فيه ، وإما مرجفون مضعفون للقوة والقدرة عليه ، وإن كان ذلك من النفاق " انتهى.

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : بلغني عن أبي ذر حديث ، فكنت أحب أن ألقاه ، فلقيته ، فقلت له : يا أبا ذر بلغني عنك حديث ، فكنت أحب أن ألقاك ، فأسألك عنه ، فقال : قد لقيت فاسأل ، قال قلت : بلغني أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **ثلاثة يحبهم الله عز وجل وثلاثة يبغضهم الله عز وجل** " قال : نعم ، فما أخالني أكذب على خليلي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثلاثا يقولها ، قال قلت : من الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل ؟ قال :" رجل غزا في سبيل الله ، فلقي العدو مجاهدا محتسبا ، فقاتل حتى قتل ، وأنتم تجدون في كتاب الله عز وجل " **إن**

الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا " ورجل له جار يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله إياه بموت أو حياة ، ورجل يكون مع قوم فيسيرون حتى يشق عليهم الكرى أو النعاس ، فينزلون في آخر الليل ، فيقوم إلى وضوئه وصلاته ، قال قلت : من الثلاثة الذين يبغضهم الله ؟ قال : الفخور المختال ، وأنتم تجدون في كتاب الله عز وجل **" إن الله لا يحب كل مختال فخور "** والبخيل المنان ، والتاجر والبياع الحلاف " رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح.

قال القاسمي في تفسيره على آية الصف السابقة " قال القاشانيّ : لأن بذل النفس في سبيل الله لا يكون إلا عند خلوص النفس في محبة الله ، إذ المرء إنما يحب كل ما يحب من دون الله لنفسه ، فأصل الشرك ومحبة الأنداد ، محبة النفس ، فإذا سمح بالنفس ، كان غير محب لنفسه ، وإذا لم يحب نفسه فبالضرورة لم يحب شيئاً من الدنيا ، وإذا كان بذله للنفس في اللّهو وفي سبيله لا للنفس ، كما قال – ترك الدنيا للدنيا – كانت محبة الله في قلبه راجحة على محبة كل شيء ، فكان من الذين قال فيهم :**" والذين آمنوا أشد حبا لله "** وإذا كانوا كذلك يلزم محبة الله إياهم ، لقوله :**" يحبهم ويحبونه "** انتهى .

وينبني على محبة الله للعبد المجاهد أنه يغفر له ولا يعذبه ، قال أبو الليث السمرقندي في بحر العلوم على قوله تعالى " **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم "** ففي الآية دليل أن الله تعالى إذا أحب عبده يغفر ذنوبه ولا يعذبه بذنوبه لأنه احتج عليهم فقال **" فلم يعذبكم "** إن كنتم أحباء الله تعالى ، وقال في آية أخرى **" إن الله يحب التوبين ويحب المتطهرين "** ففيها دليل على أنه لا يعذب التوابين بذنوبهم ولا المجاهدين الذين يجاهدون لقوله تعالى **" إن الله يحب الذين يقتلون في سبيله صفا "** انتهى.

ولما كان الجهاد أحب الأعمال إلى الله جعل الله له من الأجر والمثوبة والفضائل ما لم يجعله لغيره من الأعمال ، فكان ذلك من أعظم الأدلة على أن الجهاد أحب عمل يتقرب به إلى الله وأحب عمل يعمله العبد لله تعالى .

فمن كان يبحث عن محبة الله ويريد تحصيلها ، فعليه بالجهاد ، فهو أعظم وأسرع سبيل إلى ذلك لأنه أحب عمل إليه .

قال ابن القيم في روضة المحبين مخبرا عن الله تعالى " ويحب الجهاد وأهله بل هم أحب خلقه إليه وإن كره أفعال من يجاهدونه" انتهى ، ويقصد بمن يجاهدونه أي الكفرة .

وقال أيضا فيه " جعل الله سبحانه وتعالى علامة محبته ومحبوبيته الجهاد ، فقال الله تعالى " **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** " انتهى .

الفضيلة الخامسة : أن أجور الجهاد عظيمة :

قال تعالى " **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما** " فأفاد أن المقاتل سواء قتل أو لم يقتل سوف يؤتى أجرا عظيما .

قال أبو السعود في تفسيره " وتعقيب القتال بأحد الأمرين للإشعار بأن المجاهد حقه أن يوطن نفسه بإحدى الحسنيين ، ولا يخطر بباله القسم الثالث أصلا" انتهى .

قال ابن الجوزي في زاد المسير " قوله تعالى " **فيقتل أو يغلب** " خرج مخرج الغالب ، وقد يثاب من لم يغلب ولم يقتل " انتهى.

وقال تعالى في آية عدم استواء القاعدين والمجاهدين " **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما** " وأعظم هذه الأجور هي رفعة الدرجات في الجنة ، ولهذا فسرها في الآية ، وكذا المغفرة والرحمة .

وقال تعالى " **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم** " .

فأخبر بعد ذكر فضلهم وما أعد لهم أن الله عنده أجر عظيم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **انتدب الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا إيمان بي ، وتصديق برسلي ، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة** " رواه البخاري ومسلم .

قال السيوطي في حاشية النسائي " **انتدب الله** " أي سارع بثوابه وحسن جزائه ، وقيل بمعنى أجاب إلى المراد ، ففي الصحاح ندبت فلانا لكذا فانتدب أي أجاب إليه ، وقيل معناه تكفل بالمطلوب ، ويدل عليه رواية البخاري في باب الجهاد بلفظ " **تكفل الله** " وبلفظ " **توكل الله** " " انتهى .

وهذه النصوص تدل على أن أجور الجهاد عظيمة ، بل إن الجهاد أعظم الأعمال أجرا وفضلا ، وما يوازيه من الأعمال الصالحة لا يستطاع عليه ، كما جاء عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال :" **لا تستطيعونه** " قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول " **لا تستطيعونه** " وقال في الثالثة " **مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى** " رواه مسلم ، وهذا في أقل أجور الجهاد كما سيأتي إن شاء الله ، فكيف بأعظمه ؟

ومن الأمثلة على أجور الجهاد العظيمة ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب في عيينة من ماء عذبة ، فأعجبته لطيبها ، فقال : لو اعتزلت الناس ، فأقمت في هذا الشعب ، ولن أفعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :" **لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ أغزو في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة** " رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

قال القاري في المرقاة " " **فإن مقام أحدكم** " بفتح الميم أي قيامه ، وفي نسخة بضمها وهي الإقامة بمعنى ثبات أحدكم في سبيل الله أي بالاستمرار في القتال مع الكفار ، خصوصا في خدمة سيد الأبرار ، " **أفضل من صلاته في بيته** " يدل على أن طلبه كان مفضولا لا محرما " **سبعين عاما** " المراد به الكثرة لا التحديد ، فلا ينافي ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة** " رواه الحاكم عن عمران بن حصين وقال على شرط البخاري ورواه ابن عدي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنهم ولفظه " **قيام أحدكم** " انتهى .

قال ابن النحاس في المشارع " يا هذا ، ليت شعري من يقوم مقام هذا الصحابي في عزلته وعبادته وطيب مطعمه ، ومع هذا فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم :" **لا تفعل** " وأرشده إلى الجهاد ، فكيف لواحد منا أن يتركه مع أعمال لا يوثق بها مع قلتها ، وخطايا لا ينجى معها لكثرتها ، وجوارح لا تزال مطلقة فيما منعت منه ، ونفوس جامحة إلا عما نهيت عنه ، ومآكل حكم حلها عند رازقها ، وخواطر علم أصلها عند خالقها ، ونيات لا يتحقق إخلاصها ، وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصها ، ثم النظر في خواتم الأعمال ، مجال الخطر وعظائم الأوجال ، فالسعيد من وفقه اللهّ للجهاد ويسره عليه ، والشقي من جبن فغبن وظهر الخسران عليه ، اللهم يسر علينا الجهاد ويسرنا له ، واجعلنا بفضلك ممن رام أمرا فناله ، وقرنت بالتوفيق أحواله وأفعاله ، إنك قريب مجيب " انتهى .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة** " رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ، وقد ذكره الألباني في الصحيحة لشواهده .

عن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان** " رواه مسلم .

فجعل أجر رباط يوم فقط خير وأفضل من أجر عبادة شهر كاملة .

عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر حارس حرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله** " رواه الحاكم ، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان في الرباط ، ففزعوا إلى الساحل ،ثم قيل : لا بأس ، فانصرف الناس وأبو هريرة واقف ، فمر به إنسان فقال : ما يوقفك يا أبا هريرة ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود** " رواه ابن حبان ، وصححه الألباني في الصحيحة .

وهذا الفضل عظيم ، فإن قيام ليلة القدر يعدل عن عمل ٨٣ سنة تقريبا ، والصلاة عند الحجر الأسود وفي المسجد الحرام بمائة ألف صلاة أيضا ، ومع هذه المضاعفات العظيمة فإن قيام ساعة في سبيل الله خير منها .

عن عباية بن رفاعة قال : أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة ، فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :" **من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار** " رواه البخاري .

قال المناوي في التيسير في شرح الجامع الصغير " واذا كان هذا في غبار قدميه ، فكيف بمن بذل وجهه ونفسه حتى قتل " انتهى .

قال الشوكاني في النيل " وفيه دليل على عظم قدر الجهاد في سبيل الله ، فإن مجرد مس الغبار إذا كان من موجبات السلامة من النار ، فكيف بمن سعى وبذل جهده واستفرغ وسعه ؟ " انتهى.

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها** " رواه البخاري ومسلم .

قال العيني في عمدة القاري ناقلا عن المهلب شرحه لهذا الحديث " فأخبر أن قصير الزمان وصغير المكان في الآخرة خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا ، تزهيدا وتصغيرا لها ، وترغيبا في الجهاد ، إذ بهذا القليل يعطيه الله في الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها ، فما ظنك بمن أتعب فيه نفسه وأنفق ماله" انتهى .

وقال تعالى " **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ".

قال العز بن عبد السلام في أحكام الجهاد وفضائله على هذه الآية " إنما شرفت النفقة في سبيل الله لأنها وسيلة إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبع مائة فما الظن بحسنة الجهاد في سبيل الله ؟ " انتهى .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :" سفرة – يعني غزوة – في سبيل الله أفضل من خمسين حجة " رواه ابن أبي شيبة ، قال ابن النحاس في المشارع " وهذا حديث موقوف وأسانيده صحاح ".

وعن عبد الرحمن بن غنم الأشعري رضي الله عنه قال " حجة قبل غزوة خير من عشر غزوات وغزوة بعد حجة خير من ثمانين حجة " رواه ابن المبارك ورجاله ثقات كما قال ابن النحاس ، والمقصود بالحجة التي خير من عشر غزوات حجة الإسلام وحجة الفريضة فهو أفضل من الجهاد الذي هو نافلة ، أما الجهاد العيني فإنه يقدم على الحج العيني.

عن الحسن بن محمد قال :" جاء الفتحيون سهيل بن عمرو ، و الحارث بن هشام ، وحويطب بن عبد العزى ، يستأذنون على عمر رضي الله عنه فأخر في أذنهم ، فقال الحارث دعي القوم ودعيتم فأبطأتم ، فلما دخلوا على عمر رضي الله عنه قالوا : يا أمير المؤمنين ! ما لنا عندك إلا ما نرى ؟ قال : نعم ، ليس إلا ما ترون ، قالوا : فإنا نطلب ما هو أرفع من هذا ، فغزوا في سبيل الله حتى ماتوا " رواه سعيد بن منصور في سننه .

فهؤلاء الصحابة الفتحيون هم الذين أسلموا في فتح مكة ، وكان ذلك بعد ظهور الإسلام ، ولم يكن لهم فضيلة السابقين الأولين للإسلام ومنزلتهم ، فذهبوا يكملون النقص الذي حصل لهم بتأخر الإسلام ويجبرونه بالجهاد في سبيل الله ، لأن أجوره عظيمة ، وفضائله جسيمة ، لعلهم يدركون به من سبقهم .

وكل ما سنتكلم عنه إن شاء الله من فضائل الجهاد العظيمة يشهد لهذا الأمر .

ولهذا كان الجهاد سببا عظيما وسريعا في رفعة الدرجات في الجنة كما سيأتي إن شاء الله بحيث لا يعظمه سبب في ذلك .

وقد كتب الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله إلى العابد الفضيل بن عياض الذي جاور بمكة ، وكان يتعبد فيها ، فقال :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ** لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خدّه بدموعه ** فنحورنا بدمائنا تتخضّب

أو كان يتعب خيله في باطل ** فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ** رهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبيّنا ** قولٌ صحيحٌ صادقٌ لا يكذب

لا يستوي وغبار خيل الله في ** أنف امرئ ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله يحكم بيننا ** ليس الشهيد بميّت لا يكذب

الفضيلة السادسة : أن الجهاد أفضل حياة وعيش يعيشه الناس :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " **من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله ، يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه ، يبتغي القتل والموت مظانه ، أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير** " رواه مسلم .

قال القرطبي في المفهم " قوله :" **من خير معاش الناس لهم** " المعاش : مصدر بمعنى المعيشة أو العيش ؛ أي : من أشرف طرق المعاش الجهاد " انتهى .

وقال النووي في المنهاج " المعاش هو العيش ، وهو الحياة ، وتقديره والله أعلم من خير أحوال عيشهم " انتهى .

وقوله " **مظانه** " أي في الأوقات والأماكن التي يظن فيها القتل .

قال القاضي عياض في إكمال المعلم " " **يطير على متنه** " أي يسارع للجهاد على ظهر فرسه .

وقوله :" **كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليها** " قال الإمام : الهيعة : الصوت الذى يفزع منه ، يقال : هاع يهيع هيوعا وهياعا : إذا جبئ ، وهاع يهاع : إذا جاع وإذا تهوع " انتهى.

فأفضل حياة يحياها الناس هي حياة الجهاد ، وذلك لما فيه من الأجور والحسنات ، ولما فيه من زوال الهم والغم كما سيأتي ذكره إن شاء الله ، ولما يؤدي إليه من الدرجة العالية وهي الشهادة ، ولما فيه من الفضائل العظيمة ، ولما فيه من العزة والكرامة ورفع الذل والهوان ، وغير ذلك من الأمور التي يحتويها الجهاد ، وقد جاء في تفسير قوله تعالى " **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** " أن هذا الأمر الذي تحصل به الحياة الجهاد كما عليه كثير من المفسرين ، قال ابن القيم في الفوائد على هذه الآية " قال الواحدي " والأكثرون على أن معنى قوله " **لما يحيكم** " هو الجهاد ، وهو قول ابن اسحق واختيار أكثر أهل المعاني ، قال الفراء : اذا دعاكم الي إحياء أمركم بجهاد عدوكم ، يريد أن أمرهم انما يقوى بالحرب والجهاد ، فلو تركوا الجهاد ضعف أمرهم واجترأ عليهم عدوهم ، قلت الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة ، أما في الدنيا فإن قوتهم وقهرهم لعدوهم بالجهاد ، وأما في البرزخ ، فقد

قال تعالى " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** " وأما في الآخرة فإن حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعيمها أعظم من حظ غيرهم ، ولهذا قال ابن قتيبة " **لما يحييكم** " يعني الشهادة " انتهى .

قال عبدالله بن المبارك كما في ديوانه :

كل عيش قد أراه نكدا ** غير ركن الرمح في ظل الفرس

وقيام في ليال دجن ** حارسا للناس في أقصى الحرس

رافع الصوت بتكبير له ** ضجة فيه ولا صوت جرس

الفضيلة السابعة : أن الجهاد خير للمؤمنين من قعودهم :

قال تعالى :" **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** " .

قال الثعلبي في الكشف والبيان " " **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم** " لأن في الغزو أحد الحسنيين إما الظفر والغنيمة ، وإما الشهادة والجنة " **وعسى أن تحبوا شيئا** " يعني القعود عن الغزو " **وهو شر لكم** " لما فيه من الذل والصغار وحرمان الغنيمة والأجر " **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** " " انتهى .

قال الرازي في تفسيره " معنى الآية أنه ربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال ، وهو سبب للمنافع الجليلة في المستقبل ، وبالضد ، ولأجله حسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في المستقبل ، وحسن تحمل الأخطار في الأسفار لتوقع حصول الربح في المستقبل ، وحسن تحمل المشاق في طلب العلم للفوز بالسعادة العظيمة في الدنيا وفي العقبى ، وههنا كذلك ، وذلك لأن ترك الجهاد وإن كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل ، وصون المال عن الإنفاق ، ولكن فيه أنواع من المضار منها : أن العدو إذا علم ميلكم إلى الدعة والسكون قصد بلادكم ، وحاول قتلكم ، فإما أن يأخذكم ويستبيح دماءكم وأموالكم ، وإما أن تحتاجوا إلى قتالهم من غير إعداد آلة وسلاح ، وهذا يكون كترك مداواة المرض في أول ظهوره بسبب نفرة النفس عن تحمل مرارة الدواء ، ثم في آخر الأمر يصير المرء مضطراً إلى تحمل أضعاف تلك النفرة والمشقة ، والحاصل أن القتال سبب لحصول الأمن ، وذلك خير من الانتفاع بسلامة الوقت ، ومنها وجدان الغنيمة ، ومنها السرور العظيم بالاستيلاء على الأعداء.

أما ما يتعلق بالدين فكثيرة منها : ما يحصل للمجاهد من الثواب العظيم إذا فعل الجهاد تقرباً وعبادة وسلك طريقة الاستقامة ، فلم يفسد ما فعله ، ومنها أنه يخشى عدوكم أن يستغنمكم ، فلا تصبرون على المحنة ، فترتدون عن الدين ، ومنها أن عدوكم إذا رأى جدكم في دينكم وبذلكم أنفسكم وأموالكم في طلبه مال بسبب ذلك إلى دينكم ، فإذا أسلم على يدكم صرتم بسبب ذلك مستحقين للأجر العظيم عند الله ، ومنها أن من أقدم على القتال طلباً لمرضاة الله تعالى كان قد تحمل ألم القتل بسبب طلب رضوان الله ، وما لم يصر الرجل متيقناً بفضل الله وبرحمته ، وأنه لا يضيع أجر المحسنين ، وبأن لذات الدنيا أمور باطلة لا يرضى بالقتل ، ومتى كان كذلك فارق الإنسان الدنيا على حب الله وبغض

الدنيا ، وذلك من أعظم سعادات الإنسان ، فثبت بما ذكرنا أن الطبع ولو كان يكره القتال من أعداء الله ، فهو خير كثير وبالضد ، ومعلوم أن الأمرين متى تعارضا ، فالأكثر منفعة هو الراجح ، وهذا هو المراد من قوله " **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم** " انتهى .

وقال القرطبي في تفسيره " والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون ، ومن مات مات شهيدا ، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم.

قلت : وهذا صحيح لا غبار عليه ، كما اتفق في بلاد الاندلس ، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار ، فاستولى العدو على البلاد ، وأي بلاد ؟ ! وأسر وقتل وسبى واسترق ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته " انتهى.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة " فبين أن الجهاد الذي أمروا به ، وإن كان مكروها للنفوس شاقا عليها ، فمصلحته راجحة ، وهو خير لهم وأحمد عاقبة وأعظم فائدة من التقاعد عنه وإيثار البقاء والراحة فالشر الذي فيه مغمور بالنسبة إلى ما تضمنه من الخير "انتهى .

وقال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** " .

وقال تعالى " **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ".

قال أبو حيان في البحر المحيط " والخيرية هي في الدنيا بغلبة العدو ، ووراثة الأرض ، وفي الآخرة بالثواب ورضوان الله " انتهى .

نعم فالقتال والجهاد خير للمؤمن من قعوده في الدنيا والآخرة ، وكل فضائل الجهاد شاهدة بهذا ، فهو خير له لأنه يدخله الجنة ، وهو خير له لأنه سبب لرفعة الدرجات في الجنة ، وهو خير له لأنه سبب لمغفرة الذنوب ، وهو خير له لأنه ..... الخ .

وهذا في الخير الأخروي ، أما الخير الدنيوي فكثير أيضا ، فمصالح الجهاد العظيمة التي شرع الجهاد لتحصيلها تشهد بهذا ، كرد بأس الذين كفروا ، وإعلاء كلمة الله ، وإعزاز المسلمين وحمايتهم والرد عنهم ، وحماية مصالحهم ، وزوال الهم الغم عن صاحبه ، وتحصيل الغنائم ، وغير ذلك من المصالح العظيمة .

وفي الجهاد الخير ، لأن فيه النجاة من عذاب الله حين تركه في الدنيا ، ومن عذاب الله تعالى في الآخرة .

فمن أقر بأن الجهاد خير له من القعود وقعد بعد ذلك ، فقد بخس نفسه وضيع ذلك الخير وفاته ، وندم حين لا ينفع الندم يوم القيامة ، عندما يرى أهل الجهاد قد حصلوا أجورهم والخير الذي أقروا به وعملوا به ، وفاته ذلك وحُرمه .

قال شيخ الإسلام في الفتاوى " أن الجهاد فيه خير الدنيا والآخرة ، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى في كتابه :" **قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين** " يعني : إما النصر والظفر ، وإما الشهادة والجنة ، فمن عاش من المجاهدين كان كريما له ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، ومن مات منهم أو قتل فإلى الجنة " انتهى .

الفضيلة الثامنة : أن أقل أجور الجهاد لا يستطاع عليه :

المجاهد في سبيل الله عندما يخرج من بيته مجاهدا يحتسب له من حين خروجه إلى حين عودته إلى بيته كأجر الصائم القائم القانت بآيات الله ، وهذا يحتسب له على مدار اليوم والليلة ، وعلى مدار الساعة ، سواء كان مباشرا للجهاد والقتال أم كان في الطريق أم كان نائما أم كان متكلما أم كان عابدا أم ضاحكا أم غيره ، فهذا الأجر مستمر ودائم له ، وهذا مما ميز به الجهاد عن غيره من العبادات ، وهذا الأجر عظيم ، ولا يستطاع عليه ولا يقدر ، فقد ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عز وجل ؟ قال :" **لا تستطيعونه** " قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول :" **لا تستطيعونه** " وقال في الثالثة :" **مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى** " رواه البخاري ومسلم .

قال القرطبي في المفهم " وقوله :" ما يعدل الجهاد " أي : ما يعادله ويماثله في الثواب عند الله تعالى .

وقوله : " **لا تستطيعونه** " أي : لا تطيقون أن تفعلوا ما يساوي ثواب الجهاد ، ووجهه : أن كل ما يصدر من المجاهد في حالتي نومه ويقظته ، وسكونه وحركته هو عمل صالح يكتب له ثوابه دائمًا ، بدوام أفعاله ، إذ لا يتأتى لغيره فيه ؛ لأنه على كل حال في الجهاد ، وملابس أحواله ، وذلك : أن المجاهد إما أن ينال من العدو ، أو يغيظه ، أو يروّعه ، أو يكثر سواد المسلمين ، أو يصيبه نصب أو مخمصة ، وكل ذلك أعمال كثير لها أجور عظيمة ، كما قال تعالى : " **ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍّ نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين** " وعلى هذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال :" **مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم ، القائم ، القانت بآيات الله ، الذي لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله** " فشبه المستغرق في أفضل العبادات التي هي الصوم والصلاة ، الخاشع فيها ؛ الذي لا يفتر بالمجاهد ؛ لذلك المعنى الذي ذكرناه آنفًا.

و " **القائم** " يعني به : في الصلاة و " **القانت** " : الخاشع فيها " انتهى .

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي " قوله " ما يعدل الجهاد " أي أي عمل يساوي الجهاد يعني في الفضل والثواب " **مثل المجاهد في سبيل الله مثل الصائم القائم** " ولمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة " **كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله** " زاد النسائي من هذا الوجه " **الخاشع الراكع الساجد** " وفي الموطأ وابن حبان " **كمثل الصائم القائم الدائم** " ولأحمد والبزار من حديث النعمان بن بشير مرفوعا " **مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره والقائم ليله** " وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهد في سبيل الله في نيل الثواب في كل حركة وسكون لأن المراد من الصائم القائم من لا يفتر ساعة عن العبادة فأجره مستمر ، وكذلك المجاهد لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب ، لحديث " **إن المجاهد لتستن فرسه فيكتب له حسنات** " وأصرح منه قوله تعالى " **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون** " " **لا يفتر** " من الفتور من باب نصر ينصر أي لا يسأم ولا يمل " **حتى يرجع المجاهد في سبيل الله** " أي إلى بيته أو حتى ينصرف عن جهاده " انتهى .

قال النووي في المنهاج " وفى هذا الحديث عظيم فضل الجهاد ، لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال ، وقد جعل المجاهد مثل من لا يفتر عن ذلك في لحظة من اللحظات ، ومعلوم أن هذا لا يتأتى لأحد ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " **لا تستطيعونه** " والله أعلم " انتهى .

قال ابن بطال في شرحه للبخاري على هذا الحديث " وفى حديث أبى هريرة أن المجاهد على كل أحواله يكتب له ما يكتب للمتعبد فالجهاد أفضل من التنفل بالصلاة والصيام "انتهى.

قال ابن النحاس " فإذا كان أولو الهمم العلية ، والنفوس الأبية ، والشهامة الدينية المضاعفة أجورهم بالصحبة النبوية الفائزون بالسبق إلى كل كمال ، الحائزون من رتب الاجتهاد كل مقام عال ، لا يستطيعون عملا يعدل الجهاد ، فكيف تقر أعين أمثالنا من غير اجتهاد ، وكيف تسكن إلى الأعمال اليسيرة بالهمم الدنية الحقيرة ، مع ما يشوبها من الرياء وعدم الإخلاص ، والدسائس التي لا يكاد يرجى معها خلاص ، اللهم أيقظنا من هذه الغفلة ، ووفقنا للجهاد في سبيلك قبل حلول النقلة ، فأنت المرجو لكل خير ولا حول ولا قوة إلا بالله " انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد** " رواه النسائي بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس في المشارع .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره والقائم ليله حتى يرجع متى يرجع** " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح كما قال ابن النحاس .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " **الغزو غزوان ، فأما من ابتغى وجه الله ، وأطاع الإمام ، وأنفق الكريمة ، وياسر الشريك ، واجتنب الفساد ، فإن نومه ونبهه أجر كله ، وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة ، وعصى الإمام ، وأفسد في الأرض ، فإنه لم يرجع بالكفاف** " رواه أبو داود ، وحسنه ابن عبد البر كما نقله السيوطي في تنوير الحوالك ، وحسنه الألباني في الصحيحة .

قوله " **ياسر الشريك** " أي عامله باليسر والسماحة والشريك هو الرفيق .

وقوله " **أنفق الكريمة** " أي ما يكرم عليه من ماله .

وقوله " **واجتنب الفساد** " أي بأن لا يتجاوز المشروع في نحو قتل وتخريب ونهب ، وهي كلمة جامعة لكل حرام وباطل .

وقوله " **ونبهه** " أي يقظته .

وقوله " **لم يرجع بالكفاف** " قال المناوي في الفيض " أي الثواب ، وهو مأخوذ من كفاف الشيء وهو خياره ، أو من الرزق أي لم يرجع بخير أو بثواب يغنيه يوم القيامة ، أي لم يعد من الغزو رأسا برأس بحيث لا أجر ولا وزر بل عليه الوزر لأنه لم يغز " انتهى .

وهذا أقل ما يجري للمجاهدين من الأجر وهو مرتاح وجالس ونائم يجري عليه ، وأما عند خوض المعامع ، ودخول المعارك ، ومباشرة القتال فعند ذلك تعظم الأجور وتتضاعف ، كما سبق ذكره من الأحاديث في فضل أن أجور الجهاد

عظيمة كحديث " **مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في بيته سبعين عاما** " وغيره ، وإذا كان أقل أجور الجهاد لا يقدر عليه ، فكيف بهذا ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أيستطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر ويصوم فلا يفطر ما كان حيا ؟ فقيل له : يا أبا هريرة ومن يطيق هذا ؟ فقال :" والذي نفسي بيده إن نوم المجاهد في سبيل الله أفضل منه " رواه ابن المبارك.

قال ابن النحاس في المشارع " إذا كان -أكرمكم الله- هذه درجة نائمهم فكيف بقائمهم ، وإذا كانت هذه رتبة غافلهم فكيف بعاملهم ، وإذا كان هذا خطر شراك نعالهم فكيف بخطير أفعالهم ، إن هذا لهو الفضل المبين ، لمثل هذا فليشمر المشمرون ، وعلى فواته فليبك العاجزون المقصرون ، وعلى ضياع العمر في غيره فليحزن المفرطون ، اللهم بصرنا بأسباب النجاة ، ويسرها علينا ، وانظر بعين عنايتك ورحمتك إلينا ، فقد تصرم العمر في غير طائل وأنت على كل شيء قدير " انتهى .

وقد ورد عن سهل بن معاذ عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة أتته فقالت : يا رسول الله انطلق زوجي غازيا ، وكنت أقتدي بصلاته إذا صلى ، وبفعله كله ، فأخبرني بعمل يبلغني عمله حتى يرجع ، فقال لها :" **أتستطيعين أن تقومي ولا تقعدي وتصومي ولا تفطري وتذكري الله تبارك وتعالى ولا تفتري حتى يرجع ؟** " قالت : ما أطيق هذا يا رسول الله ، فقال :" **والذي نفسي بيده لو طوقتيه ما بلغت العشر من عمله حتى يرجع** " رواه أحمد بإسناد حسن كما قال ابن النحاس ، ولعل المقصود من هذا في مجموع أجره في المعارك وغيرها .

وهذا يبين لك عظمة الجهاد وأجوره ، فمجرد بقاء المجاهد في أرض الجهاد يجري عليه مثل هذا الأجر العظيم ، فلو بقى رجل في الجهاد محتسبا مرابطا ، ولم تتيسر له عملية أو غزوة لكان هذا الأجر العظيم الذي لا يستطاع عليه في الحضر كافيا له ، فكيف لو انضم إليه أجور الجهاد الأخرى العظيمة والمعارك والعمليات.

الفضيلة التاسعة : أن المجاهدين في سبيل الله هم من أصدق الناس إيمانا :

قال تعالى " **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ".

قال الواحدي في الوجيز " " **أولئك هم الصادقون** " أي هؤلاء هم الذين صدقوا في إيمانهم ، لا من أسلم خوف السيف ورجاء المنفعة " انتهى .

قال أبو حيان في البحر المحيط " " **أولئك هم الصادقون** " أي في قولهم آمنا ، حيث طابقت ألسنتهم عقائدهم ، وظهرت ثمرة ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال " انتهى .

قال السعدي في تفسيره " أي : من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله ، فإن من جاهد الكفار ، دل ذلك على الإيمان التام في القلب ، لأن من جاهد غيره على الإسلام ، والقيام بشرائعه ، فجهاده لنفسه على ذلك ، من باب أولى وأحرى ، ولأن من لم يقو على الجهاد ، فإن ذلك دليل على ضعف إيمانه " انتهى .

وسبب ذلك أنهم عملوا بعبادة عظيمة شاقة على النفوس ، دالة على صدق إيمانهم وما اعتقدوه في قلوبهم ، فضحوا بأنفسهم وقدموها بين أيديهم نصرة لدين الله وإرادة لثوابه ، ونالهم بذلك من المشقة والتعب الشيء العظيم ، وهذا يحتاج إلى إيمان عظيم ، فلا يقوم به أي أحد ، وهذا من أعظم الأدلة والعلامات على صدق إيمانهم ، وكان ذلك من أعظم الامتحانات على صدق إيمانهم ، ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب كون الشهيد لا يفتن في قبره أجاب بقوله " **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة** " رواه النسائي.

ولهذا جعل الله الجهاد بما يحمله من المشاق والمتاعب والمصائب الحد الفاصل والمميز بين المؤمن والمنافق ، فقال تعالى في الحكم من غزوة أحد " **وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا** .." وكان الجهاد أكبر شعيرة تفضح المنافقين ، لأنه يحتاج إلى إيمان عظيم ، وهم يفتقدون ذلك ، فلا يريدونه ويكرهونه ويعتذرون عنه.

الفضيلة العاشرة : أن الجهاد في سبيل الله تضاعف فيه أجور الأعمال :

فإن الجهاد وقته وزمنه زمن فاضل ، والعبادة فيه قد تشق على المجاهد لمشقة الجهاد لوحده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ليلة أسري به على قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال :" **يا جبريل من هؤلاء ؟** " **قال** :" **هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف** " رواه البزار .

ويشهد لهذا الحديث ما جاء في شأن النفقة في الجهاد كقوله تعالى " **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء** " وما جاء عن أبى مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : جاء رجل بناقة مخطومة ، فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة** " رواه مسلم.

وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف** " رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع والمناوي في التيسير.

وأيضا قد ورد في الصيام أنه أعظم أجرا في الجهاد ، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا** " رواه البخاري ومسلم .

قال ابن الأثير في النهاية " وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به طريق التقرب إلى الله بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه " انتهى .

وقد جاء في الأمالي الشجرية في رواية في نفس الحديث " **من رابط يوما في سبيل الله فيصوم يوما في سبيل الله** ....." .

قال القاضي عياض في إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم " " **باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا** " أي : مبالغة في الإخبار عن البعد عنها ، والمعافاة منها ، والخريف يعبر به عن السنة ، والمراد مسيرة سبعين خريفا ، وكثيرا ما جاءت

السبعون عبارة عن التكثير واستعارة للنهاية في العدد ، قال الله تعالى :" **إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** " " انتهى .

فهذا الصيام خصصه في الحديث بكونه في سبيل الله ، أي الجهاد ، وأخبر أن له من الجزاء أن يبعد عن جهنم سبعين خريفا ، وهذا شيء لم يرد في أجر الصيام المحض ، فعلم بهذا أن الصيام في الجهاد يضاعف في الفضل عن الصيام في غيره .

فبمجموع ما سبق يتبين أن أجور الأعمال الصالحة في الجهاد أعظم من غيره من الأوقات العادية ، ولو لم يكن إلا قاعدة الأجر على قدر المشقة لكفى بها ، فإن العبادات تشق في الجهاد للخوف والتعب والسفر الذي يلحق المجاهد أكثر من غيره عندما يكون آمنا ومقيما ومرتاحا ، ولهذا خففت العبادات في وقت السفر للمشقة الحاصلة فكيف بالجهاد الذي من أدنى مشاقه السفر .

الفضيلة الحادية عشر : الجهاد تحصل به الهداية لأهله المجاهدين :

قال تعالى " **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** " .

قال أبو السعود في تفسيره " " **والذين جاهدوا فينا** " أي في شاننا ولوجهنا خالصا ، أطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة ، " **لنهدينهم سبلنا** " سبل السير إلينا والوصول الى جنابنا ، أو لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقها لسلوكها ، كقوله تعالى " **والذين اهتدوا زادهم هدى** " " انتهى .

قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط " " **والذين جاهدوا فينا** " : أطلق المجاهدة ، ولم يقيدها بمتعلق ، ليتناول المجاهدة في النفس الأمّارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين ، وما ورد من أقوال العلماء ، فالمقصود بها المثال " انتهى .

وقال تعالى في سورة محمد " **والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل الله أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم** " وهذه قراءة الجمهور ، وفي قراءة أخرى " **والذين قتلوا** " .

فأفادت الآيتان أن الجهاد سبب في حصول الهداية لأهله ، وقد ورد عن سفيان أنه قال " إذا رأيت الناس قد اختلفوا ، فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور ، فإن الله تعالى يقول " **لنهدينهم** ".

وقد قال تعالى " **وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم** " فهذه الآية تفيد أن المجاهدين لهم هدايتان ، هداية الإيمان بهذه الآية ، وهداية الجهاد بالآيات السابقة .

ولا يعترض معترض بأن آية " **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** " أنها نزلت في جهاد النفس ، لأن السورة مكية ، والجهاد لم يشرع إلا في المدينة ! فإن هذا لا يؤثر في دلالة الآية لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وأيضا فإن الآية تثبت أن المجاهدين تثبت لهم الهداية أكثر من غيرهم ، لأن أعظم عبادة تحتاج إلى جهاد النفس هي الجهاد في سبيل الله ، لأنه أشق عبادة على النفس ، وحتى ولو سلمنا بعدم صحة الاستدلال بها ، فإن آية سورة محمد مدنية وكافية في ذلك .

وهذه هداية عامة لأهل الجهاد ، تشمل كل شيء ، ولا يخرج منها شيء ، وتكون في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا يهديهم إلى طريق الرشد والصواب والحق والخير ، وفي الآخرة من حين يبعثون من قبورهم إلى حين يدخلون الجنة بهدايتهم في أهوال القيامة وتأمينهم منها ، وفي الجنة بعدما يدخلونها إلى منازلهم كما سبق في قوله تعالى " **عرفها لهم** " هكذا فسرها بعض المفسرين .

قال ابن عادل الدمشقي في اللباب في علوم الكتاب " قوله " **سيهديهم** " أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور ، وفي الآخرة إلى الدرجات " انتهى .

قال الثعلبي في الكشف والبيان " **سيهديهم** " في الدنيا إلى الطاعة ، وفي العقبى إلى الدرجات " انتهى .

الفضيلة الثانية عشر : أن المجاهدين في سبيل الله يثبت لهم العون من الله عز وجل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" ثلاثة حق على الله عونهم ، المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف"** رواه الترمذي وعبد الرزاق بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس في المشارع وكذا المناوي في التيسير.

وجاء في هذا الحديث بلفظ الأحقية تأكيدا لهذا الأمر لأهله تفضلا منه وتكرما سبحانه ، وهذا العون عون عام يشمل كل شيء ، فيعانون على جهادهم وقتالهم ، ويعانون على طاعاتهم ، ويعانون في جميع شؤونهم .

والمجاهد من أحوج الناس إلى العون لعظمة عمل الجهاد ومشقته ، والقصص والكرامات التي تحصل للمجاهدين شاهدة بهذا الأمر ، فكم ضائقة تمر بهم فيفرجها الله عليهم ويعينهم عليها بأمور تخرق العادات ، ويعلم يقينا أنها ليست مصادفة ، وإنما هي عون من الله تعالى ، وكم من مصيبة وبلية تنزل بالمجاهدين ، وينزل معها هذا العون فيخففها الله أو يزيلها ، وكم من ضعف يمر به المجاهدون ، فينزل عليهم هذا العون فيقويهم ، وكم من أمر صعب يستصعب على المجاهدين ، فينزل هذا العون فيسهل عليهم ، وغير ذلك كثير.

الفضيلة الثالثة عشر : أن المجاهدين هم وفد الله :

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " **الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم** " رواه ابن ماجه ، وحسن إسناده البوصيري في الزوائد ، وحسنه الألباني في الصحيحة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **وفد الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر** "رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، وكذا المناوي في التيسير.

الوفد هم القوم الذين يجتمعون ويردون ويقدمون على الله ، والوفد قد يأتي بناء على دعوة الموفد إليه ، وعادة ما يرفدون ويكرمون ويعطون ، ولهذا قال في الحديث " **دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم** " وإضافتهم إلى الله إضافة تشريف ، فبنى على هذا الفضل إنهم إن سألوا الله أعطاهم ، وإن دعوه أجابهم لأنهم وفده وأضيافه ، وهذا يدل على أن المجاهد أقرب إلى إجابة الدعاء والإمداد بالعطاء من غيره.

وإذا كان الله عز وجل حيي كريم يستحي أن يرد يدي عبده صفرا إذا رفعهما إليه كما ورد ولو كان رجلا عاديا غير مجاهد ، فكيف إذا كان من رفع إليه هو من وفده وكيف إذا كان سبحانه هو الذي دعاهم للوفادة عليه .

قال القاري في المرقاة " وفي النهاية الوفد القوم يجتمعون ويردون البلاد أو يقصدون الرؤساء للزيارة أو استرفادا وغير ذلك ، والحاصل أنهم قوم معظمون عند الكرماء ومكرمون عند العظماء ، تعطى مطالبهم وتقضى مآربهم " انتهى .

وقال المباركفوري في المرعاة على حديث أبي هريرة " وفي الصحاح : وفد فلان على الأمير أي ورد رسولاً ، فهو وافد ، والجمع وفد ، مثل صاحب وصحب ، فالمعنى السائرون إلى الله لقادمون عليه من المسافرين ثلاثة أصناف ، فتخصيص هؤلاء من بين العابدين لاختصاص السفر بهم عادة ، والحديث إما بعد انقطاع الهجرة أو قبلها لكن ترك ذكرها لعدم دوامها ، والسفر للعلم لا يطول غالبًا فلم يذكر ، والسفر على المساجد الثلاثة المذكورة في حديث " **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد** " ليس بمثابة السفر إلى الحج ونحوه فترك ، ويحتمل أن لا يراد بالعدد الحصر ، والله تعالى أعلم " انتهى .

الفضيلة الرابعة عشر : الجهاد في سبيل الله رهبانية هذه الأمة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل** " رواه أحمد ، وحسنه المناوي في التيسير ، وله شواهد .

قال المناوي في التيسير على هذا الحديث " فهو لها بمنزلة الترهب ، وهو التبتل وترك الشهوات والانقطاع للعبادة الذي عليه النصارى " انتهى .

قال ابن النحاس في المشارع " لما كانت الرهبانية عبارة عن تحمل أشق ما يكون على النفس ، سمي الجهاد أيضا رهبانية ، لأنه بذل النفس والمال وهو أشق ما يكون ، وشتان بين من يجاهد نفسه مع حياتها وتناول بعض ملذوذاتها ، وبين من عرضها لأعظم مكروهاتها ، وحرص على فنائها وإن كان سبب بقائها وحياتها ، اللهم ارزقنا ذلك بمنك وفضلك يا أرحم الراحمين " انتهى .

الفضيلة الخامسة عشر : الجهاد سياحة هذه الأمة :

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله ائذن لي في السياحة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم " **إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل** " رواه أبو داود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

السياحة هي الذهاب والسير والتجوال في الأرض وفراق الوطن ، وهذا أمر لازم للجهاد ولهذا قال في الحديث " **إن سياحة أمتي الجهاد** " وإذا أخذنا السياحة بمعناها المعاصر من التجوال في الأرض على سبيل النظر والاطلاع على الأماكن ورؤية العجائب ونحو ذلك ، كان هذا أيضا موجودا في الجهاد ، وهذا أمر يعرفه المجاهدون جيدا ويعايشونه ، ولهذا جاء في التاريخ في زمن الفتوحات عن المجاهدين من الصحابة فمن بعدهم أنهم كانوا يطلعون على أمور في البلدان في فتوحاتهم والعجائب الكثيرة ما لم يروه في حياتهم مطلقا ، مما هو من أعجب العجائب ونقلها لنا التاريخ .

قال ابن النحاس في المشارع " لما كانت السياحة هي السير في الأرض على سبيل الفرار من الأغيار، والنظر إلى الآثار بعين الاعتبار ، سمي الجهاد في سبيل اللهّ تعالى سياحة ، لأنه فرار من الوجود وسير إلى المعبود ، على قدم الإيمان والتصديق بالموعود ، ونظر للنفس بعين الإنصاف في تسليمها للمشتري خروجا من عالم الخلاف ، وشتان بين من هو سائر بنفسه ينزهها ، وبين من هو مجتهد عليها ليتلفها ، هذا هو السائح يقينا ، والبائع نفسه بالربح الأعظم فوزا مبينا " انتهى .

الفضيلة السادسة عشر : أن الجهاد في سبيل الله يزيل الله به الهم والغم :

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" جاهدوا في سبيل الله ، فإن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى باب من أبواب الجنة ، ينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم "** رواه أحمد بإسناد جيد كما قال ابن النحاس في المشارع ، وقال المنذري ورواته ثقات.

وهذا أمر معلوم في الجهاد ، بل ليس هذا الأمر فقط ، بل إن فيه لذة عظيمة يعلمها من جربها وخاضها ، ولهذه اللذة ولهذه الحياة التي يعيشها المجاهد ، فإن غالب من يجرب ساحات الجهاد لا يصبر عنها إذا فارقها ، بل يرجع إليها مباشرة ، بل تجده بالنسبة للجهاد كالسمكة بالنسبة للماء ، لا تستطيع مفارقه ، وكذا هو لا يستطيع مفارقته ويصعب عليه ، هذا أمر لا يقدر أن يقال عنه إلا إنه من فضل الله وعونه للمجاهدين ، وإلا فإن حياة الجهاد مليئة بالمشاق والمتاعب والهموم الغموم ، ولكن لفضل الله على المجاهدين أنهم يتقحمون هذه المشاق والمتاعب بلا هم ولا غم ، بل مع اللذة ، وهذا محض فضل الله تعالى وكرمه .

قال ابن القيم في الزاد " وأما تأثير الجهاد في دفع الهم والغم فأمر معلوم بالوجدان ، فإن النفس متى تركت صائل الباطل وصولته واستيلاءه ، اشتد همها وغمها وكربها وخوفها ، فإذا جاهدته لله أبدل الله ذلك الهم والحزن فرحا ونشاطا وقوة ، كما قال تعالى :" **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم** " فلا شيء أذهب لجوى القلب وغمه وهمه وحزنه من الجهاد " انتهى .

وسيأتي إن شاء الله أن الجهاد في سبيل الله أفضل حياة وعيش يعيشه الناس .

الفضيلة السابعة عشر : أن المجاهد أنجى الناس من الفتن وخيرهم فيها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **أظلتكم فتن كقطع الليل المظلم ، أنجى الناس منها صاحب شاهقة يأكل من رسل غنمه ، أو رجل من وراء الدروب آخذ بعنان فرسه يأكل من فيئ سيفه** " رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وهذا فضل عظيم يشهد له الواقع ، فأبعد الناس عن الفتن التي يعيشها الناس من اعتزل الناس وسلم ، وأيضا المجاهد في سبيل الله ، فهو منشغل في قتال الكفار وجهادهم وبأمر الجهاد ، وكفى به فضلا وأجرا ومشغلة عن أمور الدنيا والناس والفتن التي تعاصرهم.

وجاء أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه – أو قال برسن فرسه – خلف أعداء الله يخيفهم و يخيفونه ، أو رجل معتزل في باديته يؤدي حق الله تعالى الذي عليه** " رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

ودل هذا الحديث على أن المجاهد هو خير الناس في وقت الفتن ، وهذا يدل لزوما بأنه ناج منها ، ويدل على أن أفضل ما يعمل في الفتن من الطاعات ويشغل به المرء نفسه هو الجهاد في سبيل الله ، لأنه إذا كان أهله هم أفضل الناس فعملهم هو أفضل الأعمال ، وهذا يرد على المنافقين المعاصرين الذين ينفرون ويصدون عن الجهاد في سبيل الله بحجة الفتنة ، ولم يفقهوا أن المجاهد هو أنجى الناس منها ، وأنهم في الفتنة سقطوا كما قال تعالى " **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا** " .

فمن خاف على نفسه وأراد النجاة من الفتن فعليه بالجهاد ، ففيه زيادة على ذلك الأجور والفضائل والحسنات العظيمة ، وأفضل ما يعمل في وقت الفتن ويشغل به الجهاد في سبيل الله .

الفضيلة الثامنة عشر : أن الجهاد تحصل به المصالح العظيمة للمسلمين :

فبالجهاد تعلى كلمة الله ، ويعز دين الإسلام ، ويظهر على سائر الأديان .

وبالجهاد يُرفع الذل ، ويعتز أهل الإسلام على سائر أهل الأرض ، ويقوون وتكون لهم الرفعة والتمكين .

وبالجهاد تحمى حوزة الدين ، وبيضة المسلمين ، ويدفع عن المسلمين ، وتحمى حريمهم وأموالهم وأنفسهم وأملاكهم وأراضيهم ، ويرد بأس الذين كفروا .

وبالجهاد ينشر الدين في أصقاع الأرض ، ويمتد في سائر الناس.

وبالجهاد يذل الشرك والمشركون ، ويغمد سيفهم ويكف شرهم ويهانون وتسفل كلمتهم .

وبالجهاد تحصل المغانم العظيمة التي تفيد المسلمين عموما في أمر دنياهم .

إلى غير ذلك من المصالح التي شرع من أجلها الجهاد .

قال ابن القيم في طريق الهجرتين " المجاهدون في سبيل الله ، وهم جند الله ، الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم بأْس أعدائه ويحفظ بهم بيضة الإسلام ويحمى لهم حوزة الدين ، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا ، قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاءِ كلمته ودفع أعدائه ، وهم شركاءُ لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها وإن باتوا في ديارهم ، ولهم مثل أُجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه " انتهى .

قال القاسمي في تفسيره " قال بعض الحكماء : سيف الجهاد والقتال هو آية العز ، وبه مصّرت الأمصار ، ومدّنت المدن ، وانتشرت المبادئ والمذاهب ، وأيدت الشرائع والقوانين ؛ وبه حمي الإسلام من أن تعبث به أيدي العابثين في الغابر ، وهو الذي يحميه من طمع الطامعين في الحاضر ؛ وبه امتدت سيطرة الإسلام إلى ما وراء جبال الأورال شمالاً ، وخط الاستواء جنوباً ، وجدران الصين شرقاً ، وجبال البيرنه غرباً . . " انتهى .

الفضيلة التاسعة عشر : إصلاح بال المجاهد :

ومعنى البال أي الحال ، فقد تكفل الله بإصلاح حال المجاهدين في سبيله ، فقال تعالى " **والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم** " وهذا إصلاح عام يشمل الدينا والآخرة ، ويشمل جميع الأمور ، فيصلح أمور المجاهدين الخاصة بأنفسهم وأحوالهم ، ويصلح أمور المجاهدين العامة ، كيف لا هو مولاهم ووليهم في الدنيا والآخرة ، وكفى بهذا شرفا وفضلا للمجاهد .

وقال الثعلبي في الكشف والبيان " **ويصلح بالهم** " يرضي خصماءهم ، ويقبل أعمالهم " انتهى .

وكم سمعنا من القصص في إصلاح حال المجاهدين خاصة في أهليهم وفي أسرهم وفي أنفسهم ، وحل مشاكلهم التي كانوا يعانون منها ، وكذا إصلاح حال المجاهدين في جهادهم وحل المشاكل التي تمر بهم ، وأما في الآخرة فيصلح حال المجاهدين من حين يبعثون من قبورهم إلى دخولهم الجنة ، كل ذلك وهم في صلاح من الحال والبال .

وللمجاهد من هذا الفضل – وهو إصلاح البال – أفضل وأعلى وأزيد من باقي الناس ، فإنه يثبت له هذا الفضل من جهتين الأولى : إيمانه كما قال تعالى " **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم** " والثانية: جهاده كما في قوله تعالى " **والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم** ..الآية " ، فيصلح له باله أعظم من سائر المؤمنين .

الفضيلة العشرون : أن المجاهدين لهم أجر من تركوه وخلفوه خلفهم من المسلمين في كل ما يعملونه :

وذلك لأن المسلمين إنما استطاعوا عمل هذا العمل الذي عملوه من صلاة أو صيام أو طلب علم وتعليم وغير ذلك بفضل جهاد المجاهدين ، فلولا جهادهم وردهم بأس الذين كفروا لاجتاح الكفار ديار المسلمين وساموهم سوء العذاب ، ولما استطاعوا أن يعملوا هذا ، وهذا إذا لم يحملهم الكفار على الكفر وهو الأصل نسأل الله العافية ، ولهذا عظم أجر المجاهدين .

قال ابن القيم في طريق الهجرتين " الطبقة السادسة: المجاهدون في سبيل الله ، وهم جند الله ، الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم بأْس أعدائه ويحفظ بهم بيضة الإسلام ويحمى لهم حوزة الدين ، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا ، قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاءِ كلمته ودفع أعدائه ، وهم شركاءُ لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها وإن باتوا في ديارهم ، ولهم مثل أُجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه.

والشارع قد نزل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجر والوزر ، ولهذا كان الداعي إلى الهدى والداعي إلى الضلال لكل منهما بتسببه مثل أجر من تبعه " انتهى .

قال المناوي في الفيض " فضل الجهاد يكاد يكون بديهيا ، إذ لا تنتظم العبادات والعادات إلا به " انتهى .

الفضيلة الحادية والعشرون : أن أهل الجهاد هم الفائزون :

قال تعالى " **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون** " .

قال أبو السعود في تفسيره " " **هم الفائزون** " المختصون بالفوز العظيم ، أو بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة إلى فوزهم " انتهى .

فهم الفائزون لأنهم فازوا بالجنة ، وهم الفائزون لأنهم فازوا برفعة الدرجات فيها ، وهم الفائزون لأنهم فازوا بالأجور العظيمة من الله تعالى ، وهم الفائزون لأنهم فازوا بالفضائل الكثيرة الوفيرة ، وهم الفائزون لأنهم فازوا بالنصر والفتح ، وهم الفائزون لأنهم فازوا بالشهادة ، فحق لهم أن يسمون بهذا الاسم ويخبر عنهم بهذا الخبر .

وهم فائزون على كل حال إما بالفتح والتمكين والنصر والأجر والغنيمة وإما بالشهادة ، أما الكفار فهم خاسرون إما بعذاب من عند الله أو بأيدي المجاهدين المؤمنين كما قال تعالى " **قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون**" .

الفضيلة الثانية والعشرون : أن الجهاد يثبت به رضوان الله ورحمته :

قال تعالى " **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون*يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات فيها نعيم مقيم** ".

قال في البحر المحيط " فبدأ بالرحمة لأنها الوصف الأعم الناشيء عنها تيسير الإيمان لهم ، وثنى بالرضوان لأنه الغاية من إحسان الرب لعبده وهو مقابل الجهاد ، إذ هو بذل النفس والمال ، وقدم على الجنات لأن رضا الله عن العبد أفضل من إسكانهم الجنة ، وفي الحديث الصحيح : " **إن الله تعالى يقول : يا أهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون : يا ربنا كيف لا نرضى وقد باعدتنا عن نارك وأدخلتنا جنتك ، فيقول : لكم عندي أفضل من ذلك ، فيقولون : وما أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضائي فلا أسخط عليكم بعدها** " وأتى ثالثاً بقوله :" **وجنات لهم فيها نعيم مقيم** " أي دائم لا ينقطع ، وهذا مقابل لقوله " **وهاجروا** " لأنهم تركوا أوطانهم التي نشأوا فيها وكانوا فيها منعمين ، فآثروا الهجرة على دار الكفر إلى مستقر الإيمان والرسالة ، فقوبلوا على ذلك بالجنات ذوات النعيم الدائم ، فجاء الترتيب في أوصافهم على حسب الواقع : الإيمان ، ثم الهجرة ، ثم الجهاد ، وجاء الترتيب في المقابل على حسب الأعم ، ثم الأشرف ، ثم التكميل ، قال التبريزي : ونكر الرحمة والرضوان للتفخيم والتعظيم " **برحمة** " أي : رحمة لا يبلغها وصف واصف " انتهى .

إن أعظم مطلوب للخلق هو الحصول على رضا الله عز وجل ، وهذا فضل من فضائل الجهاد أنه يحصل به هذا الأمر ، وكذا من فضائله الفوز برحمة الله كما في الآية السابقة وأيضا قوله تعالى " **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما** " .

وهذا من أعظم فضائل الجهاد أنه يحصل به ذلك ، ولما لا وهو أحب الأعمال إلى الله وأعظمها فضلا وأجرا.

فمن كان يريد ويبحث عن رضا الله ورحمته ، فعليه بالجهاد ففيه مطلبه ومبتغاه .

الفضيلة الثالثة والعشرون : أن الجهاد سبب عظيم لمغفرة الذنوب :

قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم** " .

وقال تعالى " **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما** ".

وقال صلى الله عليه وسلم " **ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله** " رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

فالجهاد في سبيل الله سبب عظيم لغفران الذنوب صغيرها وكبيرها ، وذلك لأمرين يحتويانه زيادة على الأدلة السابقة :

الأول : أنه حسنة عظيمة ، وفيه من الحسنات الشيء العظيم الكثير ، وقد قال تعالى " **إن الحسنات يذهبن السيئات** " .

الثاني : أنه يحمل في طياته الكثير من البلايا والمصائب والمكاره ، وهذا سبب لمغفرة الذنوب كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها** "رواه مسلم .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى" ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد" انتهى .

الفضيلة الرابعة والعشرون : أن الجهاد سبب في النجاة من عذاب جهنم :

قال تعالى **" يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون "** .

عن عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :**" ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار"** رواه البخاري .

وهذا فضل عظيم ينبني على الفضائل السابقة وما سيأتي إن شاء الله من الفضائل ، فإن من فضائل المجاهد أنه قد وجبت له الجنة بجهاده ومن وجبت له الجنة حرم على النار ، ومن ثبتت له المغفرة والرحمة والرضوان كذلك حرم على النار وهكذا .

الفضيلة الخامسة والعشرون : أن الجهاد يوجب الجنة للمجاهد :

قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم** " .

وقال تعالى " **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم** " .

وقال تعالى " **والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم** " .

وقوله في الآية " **فلن يضل أعمالهم** " أي لن يبطل ثوابها ، ولن يضيع أجورهم عليهم .

وقوله في الآية " **عرفها لهم** " قيل : عرفهم منازلهم ومساكنهم فيها ، حتى لا يحتاجون إلى دليل لها ، وقيل طيبها لهم من العرف وهو الرائحة الطيبة .

وقال صلى الله عليه وسلم " **من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة** " رواه والترمذي والبراز ، وقال الهيثمي ورجاله ثقات ، وصححه الألباني في الصحيحة .

ومعنى " **فواق ناقة** " قيل ما بين الشخبتين ، يعني ما بين أن تضع يدك على الضرع وقت الحلب وترفعها ، وقيل : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأنها تحلب ، ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ، وقد رجح بعض أهل العلم المعنى الأول ، لأنه أليق بالترغيب بالجهاد ، قال القاري في المرقاة " أي من قاتل في سبيل الله لحظة ، فقد وجبت له الجنة " انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ، أغزو في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة** " رواه الترمذي ، وصححه الألباني في الصحيحة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ،**

أشعث رأسه ، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع " رواه البخاري .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح " قوله: " **طوبى** " فُعلى من كل شيء طيب ، وهي ياء حولت إلى الواو وهو من يطيب " كذا في رواية المستملي أيضا ، والقول فيه كالقول في الذي قبله ، وقال غيره: المراد الدعاء له بالجنة ، لأن طوبى أشهر شجرها وأطيبه ، فدعا له أن ينالها ، ودخول الجنة ملزوم نيلها " انتهى .

وعن ابن الخصاصية السدوسي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعه فاشترط علي " **تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتصلي الخمس وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله** " فقلت : يا رسول الله أما اثنتان فلا أطيقهما ، الزكاة فوالله مالي إلا عشر ذود هن رسل أهلي وحمولتهم ، وأما الجهاد فيزعمون أنه من ولى فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إذا حضرني قتال خشعت نفسي وكرهت الموت ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فحركها ثم قال :" **لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة ؟** " فبايعته عليهن كلهن " رواه أحمد والطبراني في الكبير قال الهيثمي ورجال أحمد موثوقون .

عن سبرة بن أبي فاكه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :" **إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقا على الله عز و جل أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة** " رواه النسائي ، وصحح إسناده العراقي في المغني ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي .

وهذا فضل عظيم للمجاهد وهو ثبوت الجنة له ، فإن الجنة هي مطلوب جميع المسلمين ، وهي سلعة الله الغالية ، وقد ثبتت ووجبت للمجاهد بجزء يسير من الجهاد ، فكيف بمن أمضى في الجهاد السنوات الطوال ، فماذا له من الفضل ؟ وسيأتي إن شاء الله أن هذا مما ترفع به الدرجات في الجنة .

وقد جاء هذا الفضل بلفظ الوجوب على الله تحقيقا لهذا الفضل وإثباتا له ، وإلا فليس هناك شيء واجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه تفضلا وتكرما .

وثبوت الجنة للمجاهد هنا المقصود به في الآخرة ، أما البرزخ فإذا لم يستشهد المجاهد فإن فيه خلافا بين أهل العلم هل أرواح المؤمنين تكون في الجنة أم في أفنية قبورهم ؟ فإن قلنا إنهم في الجنة ، فإنهم لا يكونون كالشهداء في بقائهم في الجنة ، فإن الشهداء قد فارقوا غيرهم من المؤمنين الذين لم يستشهدوا بكونهم يسرحون من الجنة حيث شاءوا ، كما ورد عنهم ، وبكونهم يتمتعون بملذات الجنة ، لكونهم قد خصوا عن عامة المؤمنين بكونهم في الجنة في أرواح وأجساد ، بخلاف عامة المؤمنين فإنهم أرواح مجردة ، هذا إذا قلنا إن هذا المجاهد الذي مات لم يعط أجر الشهادة ، وإلا فقد يمن الله على المجاهد الذي يموت في غير أرض الجهاد ويعطى أجر الشهادة لنيته أو دعائه وصدقه، وقد بينت ذلك بالتفصيل والأدلة في كتاب قمة السعادة فليراجع .

الفضيلة السادسة والعشرون : أن الجهاد في سبيل الله من أعظم أسباب رفعة الدرجات في الجنة :

في الفضيلة السابقة لما ذكرنا أن من جاهد في زمن يسير وجبت له الجنة ، فهنا يطرأ السؤال فما لمن جاهد السنين الطوال ؟ وهذا الفضل الذي نحن فيه هو الجواب على ذلك ، فالجهاد في سبيل الله من أعظم الأسباب في رفعة الدرجات في الجنة ، قال تعالى " **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما** " .

عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال : رأيت مروان بن الحكم جالسا في المسجد ، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه ، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه " **لا يستوي القاعدون من المؤمنين** " " **والمجاهدون في سبيل الله** " قال : فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي ، فقال : يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت ، وكان رجلا أعمى ، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي ،، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ، ثم سري عنه ، فأنزل الله عز وجل " **غير أولي الضرر** " رواه البخاري .

وهنا التفضيل في الأول قال " **درجة** " وفي الثانية قال " **درجات** " والفرق أن الأولى هي في حق القاعدين المعذورين كأولي الضرر ، فهؤلاء يؤجرون على نيتهم ويساوون المجاهدين في النيات ، ولكن المجاهدين يفضلونهم بالعمل ، وأما الدرجات فهي في عموم القاعدين غير المعذورين .

قال في الجلالين " " **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين** " لضرر " **درجة** " فضيلة ، لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة " **وكلا** " من الفريقين " **وعد الله الحسنى** " الجنة " **وفضل الله المجاهدين على القاعدين** " لغير ضرر " **أجرا عظيما** " ويبدل منه " **درجات منه** " منازل بعضها فوق بعض من الكرامة " انتهى .

قال النووي في المنهاج على هذا الحديث " فيه دليل لسقوط الجهاد عن المعذورين ، ولكن لا يكون ثوابهم ثواب المجاهدين ، بل لهم ثواب نياتهم إن كان لهم نية صالحة كما قال صلى الله عليه وسلم " **ولكن جهاد ونية** " انتهى .

وفي القرآن لم يذكر الله عز وجل رفعة الدرجات إلا في أربعة مواضع ، قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة " فقال تعالى " **يا ايها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين**

آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير " وقد أخبر سبحانه في كتابه برفع الدرجات في أربعة مواضع ، أحدها هذا ، والثاني قوله " **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** " والثالث قوله تعالى " **ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى** " والرابع قوله تعالى " **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة** " انتهى .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها** " فقالوا يا رسول الله : أفلا نبشر الناس ؟ قال :" **إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة** " رواه البخاري .

قال القرطبي في المفهم " الدرجة : هي المنزلة الرفيعة ، ويراد بها غرف الجنة ومراتبها التي أعلاها الفردوس " انتهى .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة** " فعجب لها أبو سعيد ، فقال : أعدها علي يا رسول الله ، ففعل ، ثم قال :" **وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** " قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال :" **الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله** " رواه مسلم .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **من أقام الصلاة وآتى الزكاة ومات لا يشرك بالله شيئا كان حقا على الله عز و جل أن يغفر له هاجرا ومات في مولده** " فقلنا : يا رسول الله ألا نخبر بها الناس فيستبشروا بها ؟ فقال :" **إن للجنة مائة درجة ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، ولولا أن أشق على المؤمنين ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي ، ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أني أقتل ثم أحيا ثم أقتل** " رواه النسائي ، وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن النسائي .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى " وقال صلى الله عليه وسلم " **إن في الجنة لمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله سبحانه وتعالى للمجاهدين في سبيله** " فهذا ارتفاع خمسين ألف سنة في الجنة لأهل الجهاد" انتهى .

ودرجات الجنة قسمان :

درجات كبار ، ودرجات صغار.

فالدرجات الكبار مائة درجة ، كما جاء في الأحاديث ، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق ، وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **من صام رمضان وصلى الصلوات وحج البيت لا أدري أذكر الزكاة أم لا إلا كان حقا على الله أن يغفر له إن هاجر في سبيل الله أو مكث بأرضه التي ولد بها** " قال معاذ : ألا أخبر بهذا الناس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ذر الناس يعملون ، فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها ، وفوق ذلك عرش الرحمن ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس**" رواه الترمذي وابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس**" رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

وهذه الدرجات الكبار تنال بالأعمال الكبار ، وهو الجهاد في سبيل الله كما ورد في الأحاديث السابقة .

والدرجات الصغار تنال بالأعمال الصغيرة التي لا تبلغ أجر الجهاد ، وذلك كما ورد في أجر الخطى إلى المساجد كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " **صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة ، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن ، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه خطيئة ، حتى يدخل المسجد** " رواه البخاري ، فلو كان المقصود بالدرجة هي المائة درجة السابقة لنالها الرجل من أول ذهاب له إلى المسجد ، وذلك غير مراد جزما .

وهذه الدرجات الصغار تتضمن الدرجات الكبار وتتخللها ، فتكون الدرجة الواحدة الكبيرة تحتوي على عدة درجات صغار .

قال المناوي في الفيض " " **الجنة مائة درجة** " يعني درجها الكبائر مائة ، وفي ضمن كل درجة منها درجات صغار كثيرة ، فلا تعارض بينه وبين خبر أحمد يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه " انتهى .

وعلى ذلك يكون الجهاد من أعظم الأسباب في رفعة الدرجات في الجنة ، وقد جاء عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرت قدم في عمل تبتغى به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله** " رواه ابن المبارك بإسناد حسن كما قال ابن النحاس ، وفيه شهر بن حوشب وفيه خلاف .

وبحسب جهاد المجاهد كما وكيفا تكون درجته :

فمن المجاهدين من يكون في ربض الجنة ، ومنهم من يكون في وسط الجنة ، ومنهم من يكون في أعلى درجات الجنة .

فعن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **أنا زعيم** – والزعيم الحميل – **لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة ، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة ، فمن فعل ذلك ، فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا ، يموت حيث شاء أن يموت** " رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فأفاد الحديث أن المهاجر إما أن يكون في ربض الجنة أو في وسطها بحسب هجرته وما يضاف إليها ، وأن المجاهد إما أن يكون في ربض الجنة أو في وسطها أو في أعلاها بحسب جهاده وعمله فيه .

وهذه الدرجات كذلك تنال بعمل بسيط من أعمال الجهاد ، وهو تبليغ الرمي للعدو سواء أصاب العدو أم أخطأه ، فكيف بالأعمال العظيمة في الجهاد ، فعن أبي نجيح السلمي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة** " فبلغت يومئذ ستة عشر سهما ، قال : وسمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول" **من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر** " رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

وعن شرحبيل بن السمط أنه قال لكعب بن مرة : يا كعب حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر ، قال : سمعته يقول :" **من شاب شيبة في الإسلام في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة** " قال له حدثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم واحذر ، قال : سمعته يقول " **ارموا ، من بلغ العدو بسهم رفعه الله به درجة** " قال ابن النحام : يا رسول الله وما الدرجة ؟ قال :" **أما انها ليست بعتبة أمك ، ولكن ما بين الدرجتين مائة عام** " رواه النسائي ، وصححه الألباني ف صحيح سنن النسائي ، وقد ورد في بعض الأحاديث أن ما بين السماء والأرض مائة عام ، وفي بعضها أن ما بينهما خمسمائة عام ، وهذا لا يعارض هذا لأن المسافة قد تكون بحسب سرعة السير ، وقد جاء أن ما بين الدرجتين من درجات المجاهدين كما بين السماء والأرض ، فعلى هذا تكون الدرجة في هذا الحديث المقصود بها الدرجات الكبار جمعا بين الأحاديث .

والمقصود بالتبليغ هنا مجرد وصول السهم إلى مكان العدو سواء أصاب العدو أو لم يصبه ، ويدل عليه ما جاء عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **من رمى العدو بسهم فبلغ سهمه العدو أصاب أو أخطأ فيعدل رقبة** " رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

وروى عبد الرزاق عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **ومن رمى بسهم بلغ العدو أو قصر كان كعدل رقبة** " فأفاد ذلك أن المقصود بالبلوغ غير الإصابة .

فتبليغ السهم أجره ارتفاع الدرجة ، والرمي مطلقا مع التبليغ أو بدونه يعدل عتق رقبة على مقتضى الأحاديث السابقة .

وكذا تنال هذه الدرجات بجميع أعمال الجهاد الأخرى كالحراسة والمشي والغزوات والروحات والغدوات والنكاية وغير ذلك مما سيأتي إن شاء الله ، وكذا بأجر الجهاد العام وهو أجر الصائم القائم القانت بآيات الله .

وأعلى درجة من درجات المجاهدين هي الفردوس الأعلى كما ورد في الحديث ، فلا يزال المجاهد يرتفع في درجات الجنة بجهاده حتى يبلغ الفردوس الأعلى منها ، نسأل الله من فضله .

فأعلى عمل وأعظم عمل يرفع الدرجات هو الجهاد.

الفضيلة السابعة والعشرون : أن الجهاد باب من أبواب الجنة :

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **جاهدوا في سبيل الله ، فإن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى باب من أبواب الجنة ، ينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم** " رواه أحمد بإسناد جيد كما قال ابن النحاس في المشارع ، ، وقال المنذري ورواته ثقات .

فمن كان من أهل الجهاد ثبت له الدخول من ذلك الباب ودعي من ذلك الباب ، بل ورد أعظم من هذا في عمل من أعمال الجهاد وهو إنفاق زوجين في سبيل الله ، أن من فعل ذلك دعي من جميع أبواب الجنة للدخول فيها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة** " فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال :" **نعم ، وأرجو أن تكون منهم** " رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية للبخاري " **زوجين من شيء من الأشياء** " .

قال ابن عبد البر في الاستذكار " قوله " **نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير** " يريد هذا خير نلته وأدركته لعملك ونفقتك في سبيل الله " انتهى .

وقال الباجي في المنتقى " " **نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير** " يحتمل أن يريد به يا عبد الله هذا خير أعده الله لك ، فأقبل إليه من هذا الباب ، ويحتمل أن يريد به هذا خير أبواب الجنة لك لأنه في الخير والثواب الذي أعد لك " انتهى .

والمقصود بالزوجين به أن ينفق اثنين من أي شيء كدرهمين أو ثوبين أو غيره .

الفضيلة الثامنة والعشرون : أن من مات في سبيل الله مجاهدا مات شهيدا :

إذا خرج الرجل مجاهدا في سبيل الله محتسبا للأجر في ذلك ، ثم مات موتة طبيعية أو أي موتة أخرى ، أعطي أجر الشهادة ، وهذا لا يثبت إلا للمجاهد ، فسواء قتل المجاهد أو لم يقتل ما دام في درب الجهاد ومات فهو شهيد ، ويعطى منزلة الشهادة .

قال تعالى " **ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون** " .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ما تعدون الشهيد فيكم ؟** " قالوا : يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال :" **إن شهداء أمتي إذا لقليل** " قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟ قال :" **من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد** " رواه مسلم .

قال القرطبي في المفهم " وقوله " **ومن مات في سبيل الله فهو شهيد** " يعني : أنه يموت شهيدًا وإن لم يباشر الحرب ، ولم يشاهده " انتهى .

قال النووي في المنهاج " وهو موافق لمعنى قول الله تعالى " **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** " " انتهى.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال في خطبته :" وأخرى يقولونها لمن قتل في مغازيكم أو مات قتل فلان شهيدا أو مات فلان شهيدا ، ولعله أن يكون قد أوقر عجز دابته أو دف راحلته ذهبا أو ورقا يطلب التجارة ، فلا تقولوا ذاكم ، ولكن قولوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " **من قتل في سبيل الله أو مات فهو في الجنة** " رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح النسائي .

وفي رواية سعيد بن منصور " **من قتل في سبيل الله أو مات فهو شهيد** ".

وقوله " ولعله أن يكون قد أوقر عجز دابته ..." أي أن نيته طلب الدنيا والتجارة وليس خالص النية لله تعالى .

والمراد من هذا أن من يقتل في سبيل الله أو يموت فإنه في الجنة ، فسوى بينهما .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **" مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة "** رواه البخاري ، وفي رواية **" انتدب الله "** وفي رواية **" تضمن الله "** وفي رواية **" تكفل الله "** .

فحيث توفي المجاهد بالموت أو القتل ، فسيدخله الله الجنة .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :**" من جاهد في سبيل الله كان ضامنا على الله ، ومن عاد مريضا كان ضامنا على الله ، ومن غدا إلى مسجد أو راح كان ضامنا على الله ، ومن دخل على إمام يعزره كان ضامنا على الله ، ومن جلس في بيته لم يغتب إنسانا كان ضامنا على الله "** رواه ابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

قال ابن دقيق العيد " الضمان والكفالة هو عبارة عن تحقيق هذا الموعود من الله سبحانه وتعالى ، فإن الضمان والكفالة مؤكدان لما يضمن ويتكفل به وتحقيق ذلك من لوازمها " انتهى من شرح العمدة .

قال ابن النحاس في المشارع " جرت السنة في معاملة الله عبيده بفضله وكرمه ، أن من توجه بصدق إلى شيء من القربات فمنعه منه القدر الإلهي مع شدة حرصه عليه ، وتصميم قصده في طلبه ، أن الله يعطيه يوم القيامة أجر تلك القربة ، تفضلا منه وإحسانا لحسن قصده لإخلاص نيته وصدق طويته ، والدليل على ذلك أن من خرج مجاهدا فمات كان شهيدا ، كما سيأتي في بابه إن شاء اللهّ وكذلك من حج فمات كتب حاجا.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في المحرم الذي سقط عن بعيره فمات :**"إنه يبعث يوم القيامة ملبيا "**.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم :**" من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه "** رواه النسائي ، وابن ماجه ، وابن خزيمة في صحيحه من حديث أبي الدرداء ، ورواه أبو داود، والنسائي – أيضا – من حديث عائشة .

وكذلك قوله في : **"من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه اللهّ مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"** . رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم وأشباه هذه الأحاديث كثيرة" انتهى .

فمن خرج مجاهدا ومات وهو كذلك ، فإنه يكتب له أجر الشهادة التي طلبها ولم تحصل له .

وكفى بهذا فضلا وشرفا للجهاد ، فحصول درجة الشهادة فضل عظيم ، ومنزلة كبرى وهو يحصل للمجاهد بمجرد سلوكه لهذا الطريق ولو لم يقتل .

فمن أراد منزلة الشهادة فعليه بالجهاد ، فهي حاصلة له إن شاء الله ، إن قتل كان بها ، وإن لم يقتل ومات أيضا كان بها .

انتهى ذكر فضائل الجهاد العامة هنا ، لكنها لم تنته هي في نفسها بعد ، ففضائله كثيرة وعظيمة ، ولو حصل التدقيق في جمعها ، لاجتمع منها فضائل أكثر من هذا ، لكن الوقت لم يساعد ، فجمعت هذه الفضائل على عجالة من أمري .

قيل :

الموت في طاعة الرحمن يُسعدنا ❊ والعيش في سخط الرحمن يشقينا

لقد رضينا الجهاد الصرف جائزة ❊ فضل الجهاد إذا نلناه يكفينا

بئس الحياة إذا الطاغوت عبَّدنا ❊ نجرُّ أيامها صغراً مرائينا

أما المنية في عزّ وفي شرفٍ ❊ فهي الأثيرة نطربها وتطربنا



الباب الثاني : فضائل أعمال الجهاد

تمهيد :

قد ذكرنا سابقا بعض الفضائل في الجهاد ، وتلك الفضائل هي فضائل الجهاد العامة التي تشمل كل مجاهد ، وكل من تحقق فيه هذا المسمى ، وهنا نشرع في ذكر فضائل في أعمال الجهاد الخاصة ، والتي تثبت لكل من عمل هذا العمل فقط ، ولا تعم جميع المجاهدين ، وفي معرفة هذه الفضائل أهمية فبها يعرف أن هذا العمل مشروع بذاته ومحبوب إلى الله ، وبه يتحفز العبد للعمل لهذا العمل ويجتهد فيه ، وبه يحتسب الأجر في هذا العمل والثواب ، فهو عندما يغدو في الجهاد يتذكر أن الغدوة خير من الدنيا وما فيها ، وعندما يرمي يتذكر أن له بكل سهم درجة ، وعندما ينفق يتذكر أن نفقته بسبعمائة ضعف ، وعندما يقطع واديا يتذكر قوله تعالى **" ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم "** وهكذا .

ومن هذه الأعمال :

فصل في فضل الغدوة والروحة في سبيل الله :

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**" غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها "** رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**" لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب " وقال " لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب "** رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :**" لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها "**رواه البخاري ومسلم.

وقوله **" ولقاب قوس أحدكم "** أي قدر قوس .

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت** " رواه مسلم .

قال ابن النحاس في المشارع " الغدوة هي المرة الواحدة من الذهاب .

الروحة : المرة الواحدة من المجيء " انتهى .

قال ابن حجر في الفتح " والغدوة بالفتح المرة الواحدة من الغدو وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها " انتهى .

ثم قال " والحاصل أن المراد تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد ، وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا ، فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات ، والنكتة في ذلك أن سبب التأخير عن الجهاد الميل إلى سبب من أسباب الدنيا ، فنبه هذا المتأخر أن هذا القدر اليسير من الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا" انتهى .

قال العز بن عبد السلام في أحكام الجهاد وفضائله " إذا كانت الغدوة والروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، فما الظن بمن واظب على ذلك الشهر والشهرين والسنة والسنتين ؟ " انتهى .

قال المناوي في فيض القدير " قال الأبي : الغدوة والروحة ذكرا للغالب ، فكذا من خرج في منتصف النهار أو منتصف الليل ، وليس المراد السير في البر بل البحر كذلك ، وليس المراد السير من بلد الغازي بل الذهاب إلى الغزو من أي طريق كان حتى من محل القتال " انتهى .

قال العيني في عمدة القاري " وقال المهلب معنى قوله " **خير من الدنيا** " أن ثواب هذا الزمن القليل في الجنة خير من الدنيا كلها ، وكذا قوله " **لقاب قوس أحدكم** " أي موضع سوط في الجنة ، يريد ما صغر في الجنة من المواضع كلها من بساتينها وأرضها ، فأخبر أن قصير الزمان وصغير المكان في الآخرة خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا ، تزهيدا وتصغيرا لها ، وترغيبا في الجهاد ، إذ بهذا القليل يعطيه الله في الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها ، فما ظنك بمن أتعب فيه نفسه وأنفق ماله " انتهى .

قال في عمدة القاري " وقال القرطبي : أي الثواب الحاصل على مشية واحدة في الجهاد خير لصاحبه من الدنيا وما فيها لو جمعت له بحذافيرها ، والظاهر أنه لا يختص ذلك بالغدو والرواح من بلدته بل يحصل هذا حتى بكل غدوة أو روحة في طريقه إلى الغد ، وقال النووي وكذا غدوه ورواحه في موضع القتال ، لأن الجميع يسمى غدوة وروحة في سبيل الله " انتهى .

قال ابن النحاس في المشارع " قوله في هذا الحديث وفي أمثاله : " **خير من الدنيا وما عليها** " قيل : إنه على ظاهره ، وقيل : معناه أن هذه الطاعة خير من الدنيا وما عليها ، لو قدر أن يملكها إنسان ، وينفقها في طاعة الله تعالى ، ذكره القاضي عياض في شرح مسلم ، والشيخ محب الدين الطبري في فضائل العشرة وغيرهما ورجحه جماعة ، لأن الدنيا وما عليها لا تزن عند الله جناح بعوضة ، فكيف تقاس بشيء من الأجر الموجب للجنة ، التي لا قيمة لأقل جزء منها ، ولو قدر استواؤهما في القيمة والقدر – وهو محال – لكان العقل بالضرورة يقطع بأن ذرة مما يبقى أبدا خير من ملء الأرض مما يفنى ، فالتفاضل بينهما إذا عار عن الفائدة ، إلا أن يراد مقابلة الأجر الباقي بالأجر الباقي كما تقدم ، وقال بعضهم : هو من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس المحقق ، تحقيقا له وتثبيتا في النفوس ، فإن ملك الدنيا ونعيمها ولذاتها محسوسة مستعظمة في طباع النفوس ، فحقق عندها أن ثواب اليوم الواحد في الرباط – وهو من المغيبات – خير من المحسوسات التي عهدتموها من لذات الدنيا.

قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة : وهذا عندي أوجه وأظهر يعني مما ذكره القاضي عياض ، والله أعلم " انتهى .

قال المناوي في الفيض في شرح الأحاديث السابقة " فينبغي للمجاهد الاغتباط بغدوته وروحته أكثر مما يغتبط لو حصلت له الدنيا بحذافيرها نعيما محضا غير محاسب عليه لو تصور ، والحاصل أن المراد تعظيم أمر الجهاد " انتهى .

فكل ذهاب يذهبه المجاهد ويجيء به فهو خير من الدنيا وما فيها .

وهذا يعم كل ذهاب في الجهاد ومجيء ، سواء كان الذهاب لأجل الغزو أو لغيره من أمور الجهاد ، ما دام في الجهاد وللجهاد فهو داخل في ذلك ، لأنه قال " **روحة في سبيل الله** " يعني كل روحة في الجهاد ، فلا يخص الذهاب والمجيء للعمليات والغزوات ، بل كل ذهاب ومجيء ، إذا كان لأجل الجهاد .

وهذا فضل عظيم ، فعلى المجاهد أن يحتسب عند الله كل ذهاب ومجيء ، فهو عمل صالح عظيم ، هذا زيادة على احتسابه أجر المجاهد العام وهو أجر الصائم القائم القانت .

فصل فضل وطء ونزول الأماكن التي تغيظ الكفار ، وفضل إغاظة الكفار في الجهاد :

قال تعالى " **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون** " .

فهذه الأعمال التي ذكرها الله عز وجل في الآية وجزاء الله تعالى عليها ينبغي بعدها أن لا يتخلف أحد عن الجهاد ، فإنه قال " **ذلك بأنهم** " والباء هنا سببية ، أي لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه بسبب أنه لا يصيبهم .....

وهذا يدل على عظمة هذه الأعمال وجزاءها عند الله عز وجل .

وتعقيب قوله تعالى " **ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون** " بعد هذه الأعمال يدل على أن الأعمال السابقة من أحسن أعمالهم .

والشاهد هو قوله " **ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار** " أي لا ينزلون منزلا ويطؤون بأقدامهم مكانا يغيظ منه الكفار إلا كتب لهم بهذا عمل صالح ، وهذا يدل على فضله وأنه محبوب إلى الله ، كيف لا وهو يغيظ أعداؤه ، وإغاظة الكفار مقصد عظيم للشارع كما قال تعالى " **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار** " .

قال ابن القيم في المدارج عن الإغاظة أنها " عبودية خواص العارفين ، وهي تسمى عبودية المراغمة ، ولا ينتبه لها إلا أولوا البصائر التامة ، ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له ، وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه ، أحدها قوله " **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة** " سمى المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مراغما ، يراغم به عدو الله وعدوه ، والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته كما قال تعالى " **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا**

كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين " وقال تعالى في مثل رسول الله وأتباعه " **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار** " فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب ، مطلوبة له ، فموافقته فيها من كمال العبودية ، وشرع النبي صلى الله عليه وسلم للمصلي إذا سها في صلاته سجدتين ، وقال :" **إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان** " وفي رواية " **ترغيما للشيطان** " وسماها المرغمتين .

فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر ، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة ، ولأجل هذه المراغمة حُمد التبختر بين الصفين والخيلاء والتبختر عند صدقة السر حيث لا يراه إلا الله لما في ذلك من إرغام العدو وبذل محبوبه من نفسه وماله لله عز وجل .

وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس ، ومن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأول ، وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " انتهى .

فكل موقع ينزله ويحتله ويطأه العبد المجاهد يغيظ بذلك الكفار فهو عمل صالح ، ولو لم يكن في ذلك مصلحة ولا غنيمة إلا إغاظة الكفار لكفى ، فعلى المجاهدين عندما يحتلون موقعا أو ينزلون منزلا أن يحتسبوا الأجر في ذلك في إغاظة أعداء الله .

وأكثر ما يغيظ الكفار من المواطئ أرضه ، فعلى المجاهدين أن يتقصدوا الكفار في أراضيهم وفي مواقعهم العسكرية وقصورهم وثكناتهم فإنه أغيظ ما يكون للكفار .

قال الخازن في تفسيره " وفي الآية دليل على فضل الجهاد وأنه من أحسن أعمال العباد " انتهى .

فصل في فضل المشي في سبيل الله :

قال تعالى " **ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم** " .

قال القاسمي في تفسيره في معنى الوادي " وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل ، اسم فاعل من ودي ، إذا سال ، فهو السيل نفسه ، ثم شاع في محله ، ثم صار حقيقة في مطلق الأرض" انتهى . روى ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله " **ولا يقطعون واديا** " قال " ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعدا إلا ازدادوا من الله قربا " .

وهذا معنى صحيح ، فإن قطع هذه المسافة والبعد كلها طاعة وقربة وعمل صالح ، وذلك مما يقرب من الله تعالى .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا يوم بدر ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانت عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فقالا : نحن نمشي عنك ، فقال :" **ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما** " رواه أحمد ، وحسنه الألباني في فقه السيرة .

والمراد من هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو لبابة وعلي بن أبي طالب كانوا يتعاقبون على بعير واحد فيمشي اثنان ويبقى واحد يركب البعير أو يركب اثنان البعير ويمشي واحد فجاء دور رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشي فقالا له نمشي نحن وأنت اركب فقال ما قال .

ففي هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على الأجر المترتب على المشي في سبيل الله ، وأخبر بأنه ليس بغني عنه ، وهذا يدل على فضله .

قال ابن النحاس في المشارع " وفي هذا الحديث النص على الأجر في المشي في سبيل الله واستحباب أن لا يتميز الأمير عن رعيته بشيء من الراحة " انتهى .

وروى ابن أبي شيبة أن أبا بكر بعث جيشا إلى الشام ، فخرج يشيعهم على رجليه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ، أن لو ركبت ! قال : احتسب خطاي في سبيل الله "

ففي كل مشي يمشيه المجاهد ذاهبا وقادما وصاعدا ونازلا ، كله مأجور عليه وحسنات تجري عليه .

فصل في فضل الجهاد بالمال والإنفاق في سبيل الله :

وكثير تلك الآيات التي تأمر بالجهاد بالمال ، وتقرنه بالجهاد بالنفس كما قال تعالى " **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** " .

وقال تعالى " **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله** ".

قال القرطبي في التفسير " قوله تعالى: " **وجاهدوا** " أمر بالجهاد ، وهو مشتق من الجهد " **بأمو الكم وأنفسكم** " روى أبو داود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم** ".

وهذا وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى ، فحض على كمال الاوصاف " انتهى .

قال تعالى عن المجاهدين " **ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون** " .

وقال تعالى " **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** " .

وقال تعالى " **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** " .

قال ابن كثير في تفسيره " وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة ، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها ، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة ، وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف " انتهى.

وهذا يدل على أن الإنفاق في سبيل الله يضاعف بسبعمائة ضعف ، وستأتي الأحاديث على ذلك هنا .

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة** " رواه مسلم.

ووقوله " مخطومة " أي عليها خطامها ، والخطام هو الزمام الذي يقاد به البعير.

قال النووي في المنهاج " قيل يحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة ، ويحتمل أن يكون على ظاهره ويكون له في الجنة بها سبعمائة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء في خيل الجنة ونجبها ، وهذا الاحتمال أظهر والله أعلم" انتهى .

عن خريم بن فاتك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف** " رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع والمناوي في التيسير .

وهذا يدل على ما سبق ذكره من مضاعفة الإنفاق بسبعمائة ضعف .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة** " فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ، قال :" **نعم ، وأرجو أن تكون منهم** " رواه البخاري ومسلم.

وهذا يدل على أن الإنفاق في سبيل الله سبب في الدخول من أبواب الجنة الثمانية .

والزوجين أي صنفين كدرهمين ، ثوبين ، .....ونحوه .

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله** " رواه الترمذي ، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام وكذا الألباني في صحيح الجامع .

عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل ؟ قال :" **خدمة عبد في سبيل الله أو ظل فسطاط أو طروقة فحل في سبيل الله** " رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترمذي .

ومعنى ظل فسطاط : أي خيمة يستظل بها المجاهد .

ومعنى خدمة عبد : أي عبد وخادم يوهب للمجاهد

ومعنى طروقة فحل : أي هي الناقة التي بلغت أن يطرقها الفحل ، أي يعطيها للمجاهد ليركبها .

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار – قال الحسن بن واقع وكان في موضع آخر من كتابي في كمه – حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره ، قال عبد الرحمن : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ، ويقول :" **ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين** " رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي .

عن أبي حبيبة قال : كنت عند أبي الدرداء وأنا أريد الغزو ، فجاءه رجل فقال : إن أخي مات وأوصى بطائفة من ماله يتصدق به ، وقال : لا تقضي شيئاً حتى تأتي أبا الدرداء ، ففي أي شيء ترى أن نجعله ؟ قال :" ما من شيء يجعل فيه ، خير من سبيل الله " قال : فلم أقم من ثمة إلا بصرة ، قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **مثل الذي يعتق عند الموت كمثل الذي يهدي بعد الشبع** " رواه سعيد بن منصور .

ومعنى " فلم أقم من ثمة إلا بصرة " أي أنه كان يريد الغزو فأعطاه أبو الدرداء من المال الموصى به لأجل الغزو ، فلم يقم من هناك إلا بصرة مال .

فهذا دليل أن الإنفاق في سبيل الله أفضل ما يجعل فيه المال .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال " لان أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي من حجة في إثر حجة " رواه ابن أبي شيبة ، وفي رواية " لأن أجهز سوطا ".

فالنفقة بسوط في سبيل الله أفضل من حجة بعد حجة ، وهذا في السوط ، فكيف بما فوقه ؟

فصل في فضل الغبار في سبيل الله :

وهذا له فضلان :

الأول : التحريم على النار :

عن عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار** " رواه البخاري .

وعن عباية بن رفاعة قال : أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :" **من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار** " رواه البخاري .

زاد في رواية أحمد عن أبي هريرة " **ساعة من نهار** ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ، ولا يجتمع الشح والإيمان في جوف عبد** "رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

وفي رواية عنده " **في منخري مسلم** " بدل جوف عبد .

عن أبي المصبح المقرائي قال : بينما نحن نسير بأرض الروم في طائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي ، إذ مر مالك بجابر بن عبد الله وهو يمشي يقود بغلا له فقال له مالك : أي أبا عبد الله اركب فقد حملك الله ، فقال جابر : أصلح دابتي وأستغني عن قومي ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار** " فأعجب مالكا قوله ، فسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت ناداه بأعلى صوته : يا أبا عبد الله اركب ، فقد حملك الله ، فعرف جابر الذي أراد برفع صوته وقال : أصلح دابتي وأستغني عن قومي وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار** " فوثب الناس عن دوابهم ، فما رأينا يوما أكثر ماشيا منه " رواه ابن حبان وأبو يعلى بإسناد جيد كما قال المنذري في الترغيب والترهيب ، وقال الهيثمي ورجاله ثقات ، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب.

وعن عائشة رضي الله عنها أن مكاتبا لها دخل عليها ببقية مكاتبته ، فقالت له : أنت غير داخل علي غير مرتك هذه ، فعليك بالجهاد في سبيل الله ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :" **ما خالط قلب امرئ مسلم رهج في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار** " رواه أحمد ، وقال المنذري في الترغيب والهيثمي في المجمع ورواته ثقات ، وصححه الألباني في الصحيحة .

والرهج الغبار .

وحكي عن مكحول وغيره من السلف أنهم كرهوا التلثم في سبيل الله يعني من أجل الغبار، ذكره ابن النحاس في المشارع ، وروى ابن أبي شيبة عن عطاء بن السائب أنه كان يكره التلثم في القتال .

قال المناوي في الفيض " " **حرمه الله** " كله " **على النار** " أبلغ من قوله أدخله الجنة " انتهى ، وذلك لأن التحريم على النار يستلزم دخول الجنة بلا عكس .

وهذا فضل عظيم أنه بمجرد الغبار الذي يمس المجاهد يحرم على النار ، وهذا الغبار لازم للجهاد لا يكاد يسلم منه أي مجاهد .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه وإن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة وإن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع** " رواه البخاري .

فوصف هذا العبد الذي أثنى عليه بأوصاف منها أنه مغبرة قدماه .

الثاني : أنه يكون مسكا لصاحبه يوم القيامة :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **من راح روحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكا يوم القيامة** " رواه ابن ماجه وحسنه البوصيري في الزوائد والألباني في الصحيحة وجود إسناده المناوي في التيسير .

وفي هذا الحديث أن الغبار الذي يصيب العبد في روحاته يكون له مسكا في يوم القيامة ، وذلك يكون قبل دخول الجنة ، فإن يوم القيامة هو من نفخة البعث إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وهذا فضل عظيم في ذلك اليوم الذي تعظم فيه الأهوال وتدنو فيه الشمس من الخلائق ويكثر العرق ، يعبق المجاهد المغبر بالمسك ، وفي هذا تشريف له على رؤوس الخلائق .

فصل في فضل النكاية والإثخان في العدو :

النكاية : قال الجوهري في الصحاح " [نكى] نكيت في العدو نكاية ، إذا قتلت فيهم وجرحت " انتهى .

وقال ابن الأثير في النهاية " يقال : نكيت في العدو أنكي نكاية فأنا ناك : إذا أكثرت فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك " انتهى .

الإثخان : جاء في المعجم الوسيط " (أثخن) في الأمر بالغ فيه ، يقال أثخن في العدو بالغ في قتاله وأثخن في الأرض بالغ في قتل أعدائه وفي التنزيل العزيز " **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض** " " انتهى .

قال تعالى " **ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح** ".

قال الطبري في تفسيره " " **ولا ينالون من عدو نيلا** " يقول : ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيئا في أموالهم وأنفسهم وأولادهم إلا كتب الله لهم بذلك كله ، ثوابَ عمل صالح قد ارتضاه " انتهى .

وقال تعالى " **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق** " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافرا ثم سدد وقارب ، ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد** " رواه النسائي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا** " رواه مسلم .

ففي هذه الأحاديث أن من قتل كافرا ثم مات مسددا أو مقاربا للسداد فإنه يحرم على النار ، وتكون له بذلك براءة منها ، فإن الكافر داخل للنار ولابد ، فعدم اجتماعهما يفيد أن أحدهما لا يدخلها ، ومعنى السداد هو الاستقامة على أمر الله والطريقة المثلى وعدم التخليط والزيغ ، أما من خلّط بعد قتله للكافر فهذا يبقى تحت المشيئة .

وعن أبى برزة رضي الله عنه أن النبي صـلى الله عليه وسلم كان في مغزى له ، فأفاء الله عليه ، فقال لأصحابه :"**هل تفقدون من أحد ؟** " قالوا : نعم فلانا وفلانا وفلانا ، ثم قال :" **هل تفقدون من أحد ؟**" قالوا : نعم فلانا وفلانا وفلانا ، ثم قال :" **هل تفقدون من أحد** " قالوا : لا ، قال :" **لكني أفقد جليبيبا ، فاطلبوه** " فطلب في القتلى ، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فأتى النبى صـلى الله عليه وسلم فوقف عليه فقال :" **قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه** " قال : فوضعه على ساعديه ، ليس له إلا ساعدا النبي صـلى الله عليه وسلم ، قال : فحفر له ، ووضع في قبره ، ولم يذكر غسلا " رواه مسلم .

فهنا النبي صـلى الله عليه وسلم أثنى على جليبيب بكونه قتل سبعة من الكفار وقتلوه ، وبنى الفضل على مجموع الأمرين ، وليس على الشهادة فقط ، بل على كونه نكى في الكفار وقتل منهم أيضا ، وهذا يدل على فضل النكاية في العدو ، وقد ذكرت في كتاب قمة السعادة أن النكاية في العدو سبب من أسباب تفاضل الشهداء عند الله فراجعه إن شئت .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال النبي صـلى الله عليه وسلم :" **إذا جاء الرجل يعود مريضا فليقل : اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا ، ويمشي لك إلى جنازة** " وفي رواية " **إلى صلاة** " رواه أبو داود وحسنه الألباني في الصحيحة .

والنيل من العدو يدخل فيه إصابة العدو بأي إصابة قليلة كانت أو كثيرة ، وبشرية كانت أو مالية واقتصادية كما سبق ذكره ، فإن ذلك مما يضعف العدو .

وعلى هذا كلما استكثر المجاهد من ذلك كلما كان أرضى له عند الله وأرفع لدرجته عنده .

فصل في فضل خمول الذكر وعدم حب الشهرة والسمو في الجهاد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع** " رواه البخاري .

فهنا وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل بأوصاف منها :

أنه أشعث الرأس مغبر القدمان : وذلك أنه قد شغل بأمور الجهاد عن تسوية شعره وتسريحه وعن تنظيف قدميه من الغبار ، فلم يكن فارغا ، بل كل وقته وهمه قد صرفه للجهاد .

انه إن كان في الحراسة كان فيها وإن كان في الساقة وهي مؤخرة الجيش كان فيها :

أي إن جعل في الحراسة كان فيها وائتمر بالأمر ، وإن جعل في مؤخرة الجيش كان فيها وائتمر بالأمر فهو هنا فعل ذلك لأمور :

أنه لا يحب السمو والرفعة ، بل يكون حيث يكون ولو كان العمل أقل من قدره وإمكانياته .

أنه يكون حيث يجعل ويرضى بذلك ، ولا يريد ما يهوى ويحب من الأماكن .

أنه يأتمر بالأمر ويسمع ويطيع ولا يخالف الأوامر ، ولو كان منها ما يكره .

قال السندي في حاشية البخاري على قوله " **إن كان في الحراسة كان في الحراسة** ..." أي : ثبت فيها ولا يريد التنقل منها إلى مرتبة فوق ذلك ، وإلى هذا أشار ابن الجوزي حيث قال المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو ، فأي موضع اتفق له كان فيه " انتهى .

وقال ابن بطال في شرح البخاري " وفيه ترك حب الرياسة والشهرة ، وفضل الخمول ولزوم التواضع لله ، بأن يجهل المؤمن في الدنيا ولا تعرف عينه فيشار إليه بالأصابع "انتهى .

وقال العيني في عمدة القاري " قوله " **إن كان في الحراسة** " أي في حراسة العدو خوفا من أن يهجم العدو عليهم ، وذلك يكون في مقدمة الجيش والساقة مؤخرة الجيش ، والمعنى إيتماره لما أمر وإقامته حيث أقيم ، لا يفقد من مكانه بحال ، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة وأكثر آفة الأول عند دخولهم دار الحرب والآخر عند خروجهم منها" انتهى .

فصل في فضل المصيبة في سبيل الله :

قال تعالى " **ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين** " .

والظمأ : هو العطش .

والنصب : هو التعب والإعياء .

والمخمصة : هي الجوع .

قال ابن سعدي في تفسيره " ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل اللهّ ، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات ، وأن ذلك لهم رفعة درجات ، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير " انتهى .

وقد قسم شيخ الإسلام في الفتاوى المصائب على قسمين :

مصائب يكون سببها القيام بطاعة الله .

ومصائب لا يكون سببها القيام بطاعة الله .

فالأولى يكون فضلها أنها تكفر السيئات ، ويؤجر على الصبر عليها ، وتكون هي في نفسها عمل صالح يؤجر عليه كسائر الأعمال الصالحة ، واستدل بالآية السابقة ، فإن فيها الظمأ والنصب والمخمصة وكلها مصائب في سبيل الله ، وقرن ذكرها بالأعمال الصالحة كالنيل من العدو وقال في آخرها " **إلا كتب لهم به عمل صالح** " .

وأما الثانية فإنها تكون مكفرة للسيئات ، ويؤجر على الصبر عليها ، ولا يؤجر عليها في نفسها .

قال شيخ الإسلام في الفتاوى " فكان ما حصل للمؤمنين من الأذى والمصائب هو باختيارهم طاعة لله ورسوله ، لم يكن من المصائب السماوية التي تجري بدون اختيار العبد من جنس حبس يوسف ، لا من جنس التفريق بينه وبين أبيه ، وهذا أشرف النوعين ، وأهلها أعظم درجة – وإن كان صاحب المصائب يثاب على صبره ورضاه وتكفر عنه الذنوب

بمصائبه – فإن هذا أصيب وأوذي باختياره طاعة لله يثاب على نفس المصائب ، ويكتب له بها عمل صالح ، قال تعالى : **" ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ".**

بخلاف المصائب التي تجري بلا اختيار العبد كالمرض وموت العزيز عليه وأخذ اللصوص ماله ، فإن تلك إنما يثاب على الصبر عليها ، لا على نفس ما يحدث من المصيبة ؛ لكن المصيبة يكفر بها خطاياه ، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها . والذين يؤذون على الإيمان وطاعة الله ورسوله ويحدث لهم بسبب ذلك حرج أو مرض أو حبس أو فراق وطن وذهاب مال وأهل أو ضرب أو شتم أو نقص رياسة ومال هم في ذلك على طريقة الأنبياء وأتباعهم كالمهاجرين الأولين ، فهؤلاء يثابون على ما يؤذون به ، ويكتب لهم به عمل صالح ، كما يثاب المجاهد على ما يصيبه من الجوع والعطش والتعب وعلى غيظه الكفار ، وإن كانت هذه الآثار ليست عملا فعله يقوم به ، لكنها متسببة عن فعله الاختياري وهي التي يقال لها متولدة " انتهى .

وعلى هذا المصائب في الجهاد كلها كأنها أعمال صالحة كالصلاة والصيام وغيره .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث ، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم** " رواه مسلم .

وفي رواية " **ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم ، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم** » رواه مسلم .

قال القاضي عياض في إكمال المعلم " قال الإمام : قال أبو عبيد : الإخفاق أن تغزو فلا تغنم شيئا ، وكذلك كل طالب حاجة إذا لم يقضها فقد أخفق ، وأخفق الصائد إذا خاب " انتهى .

والمعنى في ذلك أنهم إن سلموا وغنموا ، فقد حصل لهم بذلك جزاء دنيوي على أعمالهم بحصول الغنيمة والسلامة ، وهذا ينقص الأجر ، وذلك على القاعدة المذكورة أن كل ما يحصل للمؤمن من نعم الدنيا وترفها فهو من حسناته وأجوره ومنقصة لها في الآخرة ، كما قال خباب " هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله ، فوقع أجرنا

على الله ، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا ، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة ، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه ، ونجعل على رجليه شيئا من إذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها " رواه البخاري .

قال ابن دقيق العيد في الإحكام " إن نقص أجر الغانم بما فتح الله عز وجل عليه من الدنيا ، وحساب ذلك بتمتعه عليه في الدنيا ، وذهاب شظف عيشه في غزوه وبعده ، إذا قوبل بمن أخفق ولم يصب منها شيئا ، وبقي على شظف عيشه والصبر على غزوه في حاله وجد أجر هذا أبدا في ذلك وافيا مطردا بخلاف الأول ، ومثله في الحديث الآخر " فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها " انتهى .

وفي هذا الحديث أن من أصيب في سبيل الله ، ولم يحصل مغنما ، أن ذلك سبب لتمام أجره عند الله ، وذلك أنه لم تكن له غنيمة فتكون جزاء له على حسناته وينقص جزاؤه في الآخرة ، وأيضا قد أصابه ما أصابه في سبيل الله ولم يسلم ، فكان له أجر المصيبة وأجر الصبر عليها كما قدمنا ، ففضل على من سلم وغنم بهذا .

وإذا كان جاء في فضل الغبار الذي هو من أدنى المؤذيات التي تصيب المجاهد ولا يكاد يسلم منه مجاهد ما تقدم ذكره من الفضل العظيم ، فكيف بالمصائب والجراح والابتلاءات في سبيل الله .

فصل في فضل القوة والعزم في الجهاد والتجلد عند المصيبة وعدم الجزع والضعف :

قال تعالى " **ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون** " .

قال ابن كثير في تفسيره " وقوله تعالى: " **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** " أي لا تضعفوا في طلب عدوكم ، بل جدوا فيهم وقاتلوهم ، واقعدوا لهم كل مرصد " انتهى .

قال الشنقيطي في أضواء البيان " نهى الله تعالى المسلمين في هذه الآية الكريمة عن الوهن ، وهو الضعف في طلب أعدائهم الكافرين ، وأخبرهم بأنهم إن كانوا يجدون الألم من القتل والجراح فالكفار كذلك ، والمسلم يرجو من الله من الثواب والرحمة ما لا يرجوه الكافر ، فهو أحق بالصبر على الآلام منه ، وأوضح هذا المعنى في آيات متعددة كقوله: " **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** " وكقوله " **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم والله معكم ولن يتركم أعمالكم** " إلى غير ذلك من الآيات " انتهى .

فهنا نهي من الله تعالى للمؤمنين من الوهن في طلب الكفار وقصدهم والضعف في ذلك ، بل عليهم أن يطلبوهم بكل جد وعزم وقوة .

قال تعالى " **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين** " .

فأثنى على أتباع الأنبياء الذين قاتلوا معهم بكونهم لم يضعفوا بسبب ما أصابهم في سبيل الله ، ولم يهنوا ويذلوا ويستكينوا لعدوهم ، ثم أخبر الله تعالى أنه يحب الصابرين وهؤلاء منهم .

قال الثعلبي في الكشف والبيان " ومعنى الآية : فما ضعفوا عن الجهاد لما نالهم من ألم الجراح ، وقيل : الأصحاب وما عجزوا لقتل نبيّهم .

قال قتادة والربيع : يعني ما ارتدّوا عن بصيرتهم ودينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله ، السدي : وما ذلّوا ، عطاء : وما تضرّعوا ، مقاتل : وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ، أبو العالية : وما جبنوا ، المفضل والقتيبي : وما خشعوا ، ومنه أخذ المسكين لذله وخضوعه وهو مفعيل منه ، مثل مِعطير من العِطر ومنديل من

الندل ، وهو دفعه من واحد إلى آخر ، وأصل الندل السوق ، ولكنهم صبروا على أمر ربّهم وطاعة نبيّهم وجهاد عدوهم " **والله يحب الصابرين** " " انتهى .

وكل هذه المعاني التي نقلها داخلة في الآية.

وقال تعالى " **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ".

نهى الله عباده المؤمنين أن يهنوا ويضعفوا ويحزنوا بسبب ما أصابهم من الهزيمة يوم أحد ، لأنهم هم الأعلون على أعدائهم ، لأنهم على الحق والله معهم ، وأعداؤهم على الباطل ولا مولى لهم.

وقال تعالى " **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون** " .

وهذا نهي من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يضعفوا مع الكافرين ويهنوا معهم ويدعوا إلى السلم بلا حاجة ومصلحة للمسلمين .

وقال تعالى " **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** " .

فأثنى الله عز وجل على الصحابة الذين استجابوا للأمر بالخروج إلى قتال المشركين بعد غزوة أحد ، وكانت الجراح قد أنهكتهم ، والمصاب قد عمهم ، ومع ذلك تجلدوا وخرجوا وهم كذلك .

قال ابن كثير في تفسيره " وقوله تعالى: " **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** " هذا كان يوم حمراء الأسد ، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين ، كروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم ندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجلداً ، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الوقعة يوم أحد سوى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، لما سنذكره ، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم" انتهى.

قال العز بن عبد السلام في أحكام الجهاد وفضائله " التجلد على ما يصيبنا في طاعة الله وجهاد أعداء الله صلابة في ديننا ، وموهن لقلوب أعدائنا " انتهى .

فصل في فضل الصف في سبيل الله :

قال تعالى " **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** " .

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله :" **كأنهم بينان مرصوص** " قال : مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة " **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا** " الآية قال : ألم تروا إلى صاحب البناء كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ، فكذلك الله لا يحب أن يختلف أمره ، وإن الله صف المسلمين في قتالهم وصفهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر الله ، فإنه عصمة لمن أخذ به.

وقال الثعلبي في الكشف والبيان " " **كأنهم بنيان مرصوص** " قد رصّ بعضه إلى بعض ، أي أحكم وأتقن وأدقّ ، فليس فيه فرجة ولا خلل ، وأصله من الرصاص ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم :" **تراصوا بينكم في الصفوف لا يتخللنكم الشياطين كأنها بنات حذف** " " انتهى .

وقال ابن سعدي في تفسيره "هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله ، وتعليم لهم كيف يصنعون ، وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا ، من غير خلل يقع في الصفوف ، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضا ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر القتال ، صف أصحابه ، ورتبهم في مواقفهم ، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض ، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها ، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال " انتهى .

فقتال الصف أحب إلى الله من قتال غيره . وعن نعيم بن هبار رضي الله عنه : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الشهداء أفضل ؟ قال :" **الذين أن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك ينطلقون في الغرف العلى من الجنة ، ويضحك إليهم ربهم ، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه** " رواه أحمد وقال البوصيري في الاتحاف والمنذري في الترغيب والهيثمي في المجمع ورواته ثقات ، وصححه الألباني في الترغيب والمناوي في التيسير ، ففضلهم لوصفين لقتالهم في الصف ولإقدامهم .

فصل في فضل ارتباط الخيل واحتباسها لنية الجهاد في سبيل الله وفضل الإنفاق عليها :

ومن فضائل الخيل وارتباطها واقتنائها لنية الجهاد في سبيل الله :

أولا : أن الله تعالى أقسم بالخيل التي يغزا عليها في كتابه فقال تعالى " والعاديات ضبحا * فالمثيرات نقعا * فالمغيرات صبحا " .

قال أبو عبد الله الحليمي رحمه الله كما نقله عنه ابن النحاس في المشارع :" ذهب ابن عباس ، ومن بعده عكرمة ومجاهد وعطية ، وأبو الضحى ، وقتادة إلى أن القسم في قوله تعالى :" **والعاديات ضبحا** " إلى آخره ، وقع على الخيل التي يغزا عليها ، ويغار بها على العدو " انتهى .

فأقسم الله تعالى بها هنا ، والله تعالى لا يقسم إلا بشيء عظيم ، فهذا يدل على عظمتها ومكانتها .

ثانيا : أن من ارتبط منها شيئا بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، كان شبعها وجوعها وريها وظمؤها وأبوالها وأرواثها، وعدد ما تأكله وتشربه وتخطوه حسنات في ميزانه يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا به وتصديقا بوعده ، فإن شبعه ، وريه ، وروثه ، وبوله ، في ميزانه يوم القيامة**" يعني : حسنات ، رواه البخاري.

وخرج الإمام أحمد بإسناد جيد كما قال ابن النحاس في المشارع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **الخيل ثلاثة ، فرس للرحمن ، وفرس للإنسان ، وفرس للشيطان ، فأما فرس الرحمن ، فالذي يرتبط في سبيل الله عز وجل ، فعلفه وبوله ، وروثه -وذكر ما شاء الله يعني حسنات - وأما فرس الشيطان ، فالذي يقامر عليه ويراهن ، وأما فرس الإنسان ، فالفرس يرتبطها الإنسان ، يلتمس بطنها فهي ستر من فقر** " وحسنه المنذري في الترغيب وصححه الألباني في صحيح الجامع .

قال ابن النحاس في المشارع " قوله :" **يلتمس بطنها** " أي : نتاجها" انتهى .

وخرج أيضا بإسناد رجاله رجال الصحيح كما قال المنذري وابن النحاس في المشارع عن أبي عمرو الشيباني عن رجل من الأنصار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **الخيل ثلاثة ، فرس يرتبطه الرجل في سبيل اللهّ عز وجل ، فثمنه أجر ، وركوبه أجر ، وعاريته أجر ، وعلفه أجر ، وفرس يغالق عليه الرجل ويراهن ، فثمنه وزر ، وعلفه وزر ، وركوبه وزر ، وفرس للبطنة ، فعسى أن يكون سدادا من الفقر إن شاء الله** " وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

قال ابن النحاس في المشارع " قوله :" **يغالق عليه** " بالغين المعجمة ، أي : يراهن، كذا قال الهروي " السداد "بكسر السين المهملة ، كل شيء سددت به خللا ، ومنه سداد القارورة " .

وقال أيضا " لو لم يكن من فضل الخيل إلا إضافتها إلى الرحمن سبحانه ، تشريفا لها وتكريما ، كما في هذا الحديث ، وحديث ابن مسعود ، لكان كافيا " انتهى .

وعن أبي هريرة رضي اللهّ عنه قال : قيل يا رسول اللهّ : فالخيل ، قال : " **الخيل ثلاثة ، هي لرجل وزر ، وهي لرجل ستر ، وهي لرجل أجر ، فأما التي هي له وزر ، فرجل ربطها رياء وفخرا ونِوَاءً لأهل الإسلام ، فهي له وزر ، وأما التي هي له ستر ، فرجل ربطها في سبيل اللهّ ، ثم لم ينس حق الله في ظهورها ، ولا رقابها ، فهي له ستر ، وأما التي هي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل اللهّ لأهل الإسلام ، في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات ، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ، ولا تقطع طولها فاستنت شرفا ، أو شرفين إلا كتب له عدد آثارها ، وأرواثها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب اللهّ تعالى له عدد ما شربت حسنات** " رواه البخاري ومسلم في حديث ، وابن خزيمة في صحيحه، إلا أنه قال :

" **فأما الذي هي له أجر، فالذي يتخذها في سبيل اللهّ، ويعدها له لا تغيب في بطونها شيئا إلا كتب له بها أجر ، ولو عرض مرجا أو مرجين ، فرعاها صاحبها فيه ، كتب له بما غيبت في بطونها أجر ، ولو استنت شرفا أو شرفين ، كتب له بكل خطوة خطاها أجر ، ولو عرض نهر ، فسقاها به ، كانت له بكل قطرة غيبت في بطونها منه أجر ، قال : حتى ذكر الأجر في أرواثها وأبوالها ، وأما التي هي له ستر ، فالذي يتخذها تعففا وتجملا وتسترا ، ولا يحبس حق ظهورها ، وبطونها ، في يسرها وعسرها ، وأما الذي عليه وزر ، فالذي يتخذها أشرا وبطرا ، وبذخًا عليهم** " .

قال ابن النحاس في المشارع " قوله : نواء بكسر النون وبالمد أي : معاداة ومفاخرة ونحو ذلك .

وقوله : استنت ، بالسين المهملة وتشديد النون بين تاءين مثناتين أي : جرت بقوة ، والشرف بفتح الشين المعجمة والراء جميعا هو الشوط كما جاء في رواية البيهقي ، وقيل : هو نحو الميل .

وقوله : بذخا وتبذخا ، أي : استعلاء على الناس ، والباذخ : العالي ، وقوله : أشراً وبطرا ، قال القتيبي : الأشر : المرح والتكبر ، قال الهروي : وإذا قيل فعل ذلك أشرا وبطرا ، فالمعنى لج في البطر.

وقوله : ولا يريد أن يسقيها ، تنبيه على أنه إذا كان يثاب على كل ما غيبت في بطونها ، وإن لم يكن بقصده ونيته ، فكيف بما يقصده ويحتسبه ، جل ذو الفضل العظيم " انتهى .

ثالثا : أن المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها :

عن أبي كبشة الأنماري رضي اللهّ عنه عن النبي صـلى الله عليه وسلم قال : **" الخير معقود في نواصي الخيل، وأهلها معانون عليها، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة "** رواه الطبراني، وأبو عوانة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وقال الهيثمي ورجاله ثقات وصححه الألباني في صحيح الترغيب .

وعن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : **" المنفق على الخيل في سبيل اللهّ كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها "** رواه ابن أبي شيبة، وأبو داود، وأبو عوانة في صحيحه وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

وعن أبي هريرة رضي اللهّ عنه قال : قال رسول اللهّ صـلى الله عليه وسلم : **" الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة ، ومثل المنفق عليها كالمتكفف بالصدقة "** قال عبد الرزاق : فقلت لمعمر : ما المتكفف بالصدقة ؟ قال : الذي يعطي بكفيه المساكين . رواه أبو يعلى، والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال ابن النحاس في المشارع وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

رابعا : أن خير الدنيا والآخرة معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة :

عن ابن عمر رضي اللهّ عنهما أن رسول اللهّ صـلى الله عليه وسلم قال : **" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "** رواه البخاري ومسلم .

وعن عروة بن أبي الجعد رضي اللهّ عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **الخيل معقود في نواصيها الخير، الأجر والمغنم إلى يوم القيامة** " رواه البخاري ومسلم .

زاد البخاري : عن شبيب بن غرقدة قال : ورأيت في داره –ي عني دار عروة رضي اللهّ عنه – سبعين فرسا. وكذا قال القرطبي وغيره : كان لعروة البارقي رضي اللهّ عنه ، سبعون فرسا معدة للجهاد.

عن أنس رضي اللهّ عنه قال : قال رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم : " **البركة في نواصي الخيل** " رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه .

وعن جرير رضي اللهّ عنه قال : رأيت رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه بأصبعيه ، وهو يقول : " **الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والغنيمة** " رواه مسلم .

قال ابن النحاس في المشارع " ولغلبة الخير على الخيل وملازمته لها ، سمت العرب الخيل خيراً ، وأنزل القرآن على ذلك ، فقال الله سبحانه حكاية عن سليمان عليه السلام :" **إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي** " يعني : الخيل " انتهى .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم : " **الخيل معقود في نواصيها الخير والنيل إلى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها ، فامسحوا بنواصيها ، وادعوا لها بالبركة ، وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار**" . رواه أحمد بإسناد جيد كما قال المنذري في الترغيب وقال الهيثمي ورجاله ثقات ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

خامسا : أنها تدعو الله أن يحببها إلى صاحبها :

عن أبي ذر رضي اللهّ عنه قال : قال رسول اللهّ – صلى الله عليه وسلم – : " **ما من فرس عربي إلا يؤذن له عند كل سحر بكلمات يدعو بهن : اللهم خولتني من خولتني من بني آدم، وجعلتني له فاجعلني أحب أهله وماله إليه، أومن أحب أهله وماله إليه** " رواه أحمد ، والنسائي ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

ورواه سعيد بن منصور في سننه موقوفا.

روى ابن المبارك عن السدي قال : خرج عمرو بن عتبة بن فرقد فاشترى فرسا بأربعة آلاف ، فعنفوه ، يستغلونه ، فقال : ما من خطوة يخطوها يتقدمها إلى عدو لي، إلا هي أحب إليّ من أربعة آلاف .

قال ابن النحاس : عمرو بن عتبة هذا هو : الكوفي الزاهد الجليل ، من كبار التابعين وغزاتهم ، وشهدائهم كان إذا خرج في غزاة اشترط على أصحابه أن يكون خادمهم ، وقد روى عنه علي بن صالح بن حي وغيره أنه كان يرعى ركاب أصحابه ، وغمامة تظله ، وكان يصلي والسبع يضرب بذنبه يحميه.

سادسا : أن من ارتبط فرسا في سبيل الله تعالى فقد امتثل أمر الله تعالى ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم :

أما أمر الله فقوله تعالى :" **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ".

وأما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله : " **ارتبطوا الخيل ، وامسحوا بنواصيها، وأعجازها** " أو قال : **أكفالها وقلدوها ، ولا تقلدوها الأوتار**" رواه أبو داود من حديث أبي وهب الجشمي ، وكانت له صحبة رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

فصل في فضل خدمة المجاهدين في سبيل الله :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فمنّا الصائم ، ومنّا المفطر ، قال : فنزلنا منزلا في يوم حار ، وأكثرنا ظلا صاحب الكساء ، فمنا من يتقي الشمس بيده ، قال : فسقط الصوام ، وقام المفطرون ، فضربوا الأبنية ، وسقوا الركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ذهب المفطرون اليوم بالأجر** " متفق عليه .

وهذا يدل على أن أجر الذين خدموا أعظم من أجر الذين صاموا ، وعلى ذلك تكون الخدمة في سبيل الله أفضل من الصوم في الجهاد الذي هو نافلة .

قال ابن حجر في الفتح " قوله : " **بالأجر** " أي الوافر، وليس المراد نقص أجر الصوام ، بل المراد أن المفطرين حصل لهم أجر عملهم ، ومثل أجر الصوام ، لتعاطيهم أشغالهم وأشغال الصوام ، فلذلك قال: " **بالأجر كله** " لوجود الصفات المقتضية لتحصيل الأجر منهم ، قال ابن أبي صفرة : فيه أن أجر الخدمة في الغزو أعظم من أجر الصيام ، قلت : وليس ذلك على العموم ، وفيه الحض على المعاونة في الجهاد " انتهى .

قال السندي في حاشية النسائي " أي حصل لهم بالإعانة في سبيل الله من الأجر فوق ما حصل للصائمين بالصوم ، بحيث يقال كأنهم أخذوا الأجر كله " انتهى .

قال ابن بطال في شرح البخاري " وفيه : جواز خدمة الكبير للصغير إذا رعى له شرفا في قومه أو في نفسه أو نجابة في علم أو دين أو شبهه ، وأما في الغزو فالخادم المحتسب أفضل أجرا من المخدوم الحسيب " انتهى .

قال ابن النحاس في المشارع " قد كان السلف رضي اللهّ عنهم إذا خرجوا غزاة يجتهد كل منهم أن يكون خادم رفقائه ، وأن يدخل عليهم من السرور ما قدر عليه ، وأن ينفق عليهم ما وجد السبيل إليه ، وأن يؤثرهم إذا لم يجد سعة بها يقدر عليه ، احتسابا لذلك عند اللهّ عز وجل ، وابتغاء لمرضاته ، ورغبة في ثوابه " انتهى .

فصل في فضل الجراح في سبيل الله :

عن جندب بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد وقد دميت إصبعه فقال :" **هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت** " رواه البخاري ومسلم .

وعن جندب قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يمشي ، إذ أصابه حجر فعثر ، فدميت إصبعه ، فقال :" **هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت** " رواه البخاري ومسلم .

قال العيني في عمدة القاري " أي ما أنت يا إصبع موصوفة بشيء إلا بأن دميت ، كأنها لما توجعت خاطبها على سبيل الاستعارة أو الحقيقة معجزة تسليا لها ، أي تثبتي ، فإنك ما ابتليت بشيء من الهلاك والقطع سوى أنك دميت ، ولم يكن ذلك أيضا هدرا ، بل كان في سبيل الله ورضاه " انتهى .

وهذا يدل على أن فضل الجراح في سبيل الله ليس مختصا بالتي تكون في المعركة فقط بفعل العدو ، بل يشمل كل ما يصيب المجاهد من الجراح في أثناء جهاده مما يكون خارج المعركة وليس للعدو فيه فعل ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أصابه ما أصابه بسبب حجر وأصابه وهو يمشي وقال ما قال مع ذلك .

قال ابن بطال في شرح البخاري " ودل حديث جندب بن سفيان على أن كل ما أصيب به المجاهد في سبيل الله من نكبة أو عثرة ، فإن له أجر ذلك على قدر نيته واحتسابه "انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك** " رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية أخرى في الصحيحين " **كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله تعالى يكون يوم القيامة كهيئتها إذ طعنت تفجر دما واللون لون الدم والعرف عرف مسك** " .

وفي رواية النسائي " **جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون .....**" .

وفي هذا الحديث أن من يجرح في سبيل الله يجيء يوم القيامة وجرحه يسيل دما بلون الدم وريح المسك ، ليشهد له بفضيلته ، وأنه ممن ضحى في سبيل الله حتى سال منه الدم ، ويكون أيضا شاهدا على الظالم الذي جرحه بما فعله ،

ويكون أيضا تشريفا له على رؤوس الخلائق في المحشر برائحة المسك التي تنتشر في المحشر ، وتلفت أنظار الناس إليه وهم في العرق والحر الشديد ، ونحن نشاهد المجروح في سبيل الله الذي برئ وبقى أثر الجراحة عليه كيف يكون شرفا له في الدنيا ، وعلامة على تضحيته ، وهو بغير رائحة المسك ، فكيف لو كان معها ومع كون الدم يثعب أيضا ؟ فكفى بهذا شرفا وفضلا للمجروح في سبيل الله ، وهذا الفضل يشمل كل جرح سواء أكان بفعل العدو أم لا ، فكل جرح أو خراج أو غيره يحصل للمجاهد في الجهاد فإنه يأتي يوم القيامة على هذه الحال .

قال ابن عبد البر في الاستذكار " وقوله " **لا يكلم أحد** " معناه لا يجرح ، والكلوم الجراح عند العرب" انتهى.

وقال أيضا فيه " وأما قوله عليه السلام " **والله أعلم بمن يكلم في سبيله** " فإنه يدل على أنه ليس كل من خرج في الغزو تكون هذه حاله حتى تصح له نية ، ويعلم الله تعالى من قلبه أنه يريد وجهه ومرضاته ، ولم يخرج رياء ولا مباهاة ولا سمعة ولا فخرا ولا ابتغاء دنيا يقصدها " انتهى .

قال العراقي في طرح التثريب في معنى يثعب " معناه يجري منفجرا كثيرا ، وهو بمعنى قوله في الرواية الأخرى " تفجر دما "انتهى .

وقال أيضا فيه " فيه أن المجروح في سبيل الله يجيى يوم القيامة على هيئته حالة الجراحة ، وظاهره أنه لا فرق في ذلك بين أن يستشهد أو تبرأ جراحته لقوله " **كل كلم** " والحكمة في ذلك أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى " انتهى .

قال الحافظ في الفتح " والحكمة في كون الدم يأتي يوم القيامة على هيئته أنه يشهد لصاحبه بفضله وعلى ظالمه بفعله ، وفائدة رائحته الطيبة أن تنتشر في أهل الموقف إظهارا لفضيلته أيضا " انتهى .

والمقصود بأهل الموقف أي الناس عندما يحشرون يوم القيامة .

قال الباجي في المنتقى على هذا الفضل " وهذا دليل على فضيلته وعلو درجته وما له عند الله من الثواب الجزيل " انتهى.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صـلى الله عليه وسلم قال :" **ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين ، قطرة من دموع في خشية الله ، وقطرة دم تهراق في سبيل الله ، وأما الأثران فأثر في سبيل الله ، وأثر في فريضة من فرائض الله** " رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترمذي .

وهذا يدل على أن الجراح في سبيل الله ولو كانت بسيطة ، فإنها من أحب الأشياء إلى الله تعالى ، ولو لم يكن إلا قطرة دم فقط .

قال المناوي في التيسير " أفرد الدم وجمع الدمع تنبيها على تفضيل اهراق الدم على تقاطر الدموع" انتهى .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صـلى الله عليه وسلم قال :" **من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة ، ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها كالمسك** " رواه أبو داود والترمذي ، وصحح الشوكاني إسناد الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وفي رواية ابن حبان " **من جرح جرحا في سبيل الله جاء يوم القيامة ريحه ريح المسك ولونه لون الزعفران ، عليه طابع الشهداء**" وحسن إسنادها الألباني في الصحيحة .

وفي رواية أبي داود " **ومن خرج به خُرَاج في سبيل الله ، فإن عليه طابع الشهداء** " وصححها الألباني في صحيح أبي داود.

قال الحافظ في الفتح " النكبة أن يصيب العضو شيء فيدميه " انتهى .

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي " وقيل الجرح ما يكون من فعل الكفار والنكبة الجراحة التي أصابته من وقوعه من دابته أو وقوع سلاح عليه ، قال القاري " هذا هو الصحيح " وفي النهاية نكبت إصبعه : أي نالتها الحجارة ، والنكبة ما يصيب الإنسان من الحوادث " انتهى .

وهذا كما وقع للنبي صـلى الله عليه وسلم في حديث جندب السابق ، ويدل على أن الفضل يشمل جميع الجراح التي تصيب المجاهد في جهاده سواء أكانت من قبل العدو أم من قبل الأسباب القدرية الأخرى .

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي " " **كأغزر ما كانت** " أي كأكثر أوقات أكوانها في الدنيا " انتهى .

قال القاري في المرقاة " **ومن خرج به** " الباء للإلصاق أي ظهر به ، " **خراج** " وهو بضم المعجمة : ما يخرج في البدن من القروح والدماميل في سبيل الله " **فإن عليه** " أي على نفس الخراج أو على صاحبه " **طابع الشهداء** " بفتح الموحدة ويكسر أي ختمهم ، يعني علامة الشهداء وأمارتهم ، ليعلم أنه سعى في إعلاء الدين ، ويجازى جزاء المجاهدين " انتهى .

والمقصود بطابع الشهداء هو علامتهم ، فإن الشهداء يبعثون يوم القيامة بجروحهم وكلومهم التي ماتوا بها ، وهي تسيل دما بريح المسك ، فكذا الجرحى في سبيل الله يكون لهم هذه العلامة يوم القيامة .

وعن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلى أحد " **زملوهم بدمائهم ، فإنه ليس كلم يكلم في الله إلا يأتي يوم القيامة يدمى ، لونه لون الدم وريحه ريح المسك** " رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

قال المناوي في التيسير " " **زملوهم** " أي لفوا الشهداء " **بدمائهم** " فلا تغسلوها عنهم " انتهى.

وهذا شرف عظيم للجريح في سبيل الله أنه يأتي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد والخلائق ، والشمس دانية من الناس قدر ميل والعرق يصب منهم على قدر أعمالهم ، وهو بهذه الهيئة التي تثبت تضحيته لله تعالى ، وبهذه الرائحة الطيبة التي تصرف أنظارهم إليه ، وتشرفه عليهم .

فصل في فضل التحريض على الجهاد في سبيل الله :

قال تعالى " **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين** ".

وقال تعالى " **يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال** " .

عن أبي مسعود الأنصاري قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أبدع بي ، فاحملني ، فقال :" **ما عندي** " فقال رجل : يا رسول الله أنا أدله على من يحمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **من دل على خير فله مثل أجر فاعله** " رواه مسلم .

قال العز بن عبد السلام في أحكام الجهاد وفضائله " من قاتل في سبيل الله بنفسه ، وحث على ذلك ، فقد باشر الجهاد بنفسه ، وتسبب إلى تحصيله بحثه ، فحاز أشرف التسبب والمباشرة ، وكان حثه على ذلك أمرا بالمعروف الذي هو تلو الإيمان .

وإذا كان هذا لمن تسبب بقوله ، فما لمن تسبب إلى ذلك بقوله وفعله ، فجند الأجناد وباشر الجهاد ؟ " انتهى .

فصل في فضل الأثر في سبيل الله :

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين ، قطرة من دموع في خشية الله ، وقطرة دم تهراق في سبيل الله ، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله** " رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترمذي .

قال المناوي في الفيض " قال ابن العربي : الأثر ما يبقى بعده من عمل يجري عليه أجره من بعده ومنه قوله " **ونكتب ما قدموا وآثارهم** " وقال غيره : الأثر ما يبقى من رسوم الشيء ، وحقيقته ما يدل على وجود الشيء ، والمراد خطوة الماشي وخطوة الساعي في فريضة من فرائض الله ، أو ما بقي على المجاهد من أثر الجراحات ، وعلى الساعي المتعب نفسه في أداء الفرائض ، والقيام بها والكد فيها كاحتراق الجبهة من حر الرمضاء التي يسجد عليها وانفطار الأقدام من برد ماء الوضوء ونحو ذلك " انتهى .

وقال القاري في المرقاة " وقال – أي الطيبي – وأما الأثران فأثر في سبيل الله كخطوة أو غبار أو جراحة في الجهاد أو سواد حبر في طلب العلم ، وأثر فريضة من فرائض الله تعالى كإشقاق اليد والرجل من أثر الوضوء في البرد وبقاء بلل الوضوء في الحر واحتراق الجبهة من الرمضاء وخلوف فمه في الصوم واغبرار قدمه في الحج " انتهى .

والله أعلم أن الأثر يشمل كل ما يؤثّره عمل المجاهد وجهاده من خطوة أو سعي أو جراح أو ما ينتج عن أي عمل كالذي يبقى من الأثر على مراكز العدو بعد استهدافها بالتفجير أو النسف أو التدمير وغيره ، فإن كل ذلك داخل في عموم الأُثر .

فصل فضل السهر في سبيل الله :

عن أبي ريحانة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **حرمت عين على النار سهرت في سبيل الله** " رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح النسائي .

وهذا سهر عام يدخل فيه السهر في الحراسة وغيره ، وكل سهر في الجهاد ولو لم يكن للحراسة .

فكل من سهر في الجهاد للجهاد ، فإنه داخل في هذا الحديث إن شاء الله .

قال المناوي في التيسير " " **وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله** " تعالى أي في الحرس في الرباط أو في القتال " وقال أيضا " وعنى بالعين صاحبها " انتهى .

فصل في فضل الرمي في سبيل الله :

عن أبي نجيح السلمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة** " فبلغت يومئذ ستة عشر سهما قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر** " رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

وعن شرحبيل بن السمط أنه قال لكعب بن مرة : يا كعب حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر ، قال سمعته يقول :" **من شاب شيبة في الإسلام في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة** " قال له حدثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم واحذر ، قال سمعته يقول " **ارموا ، من بلغ العدو بسهم رفعه الله به درجة** " قال ابن النحام : يا رسول الله وما الدرجة ؟ قال :" **أما إنها ليست بعتبة أمك ولكن ما بين الدرجتين مائة عام** " رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح النسائي .

قال السندي في حاشية سنن النسائي :" قوله "**بعتبة أمك** " ليس ارتفاع الدرجة العالية من الدرجة السافلة مثل ارتفاع درجة بيتكم "انتهى .

والمقصود بالتبليغ هنا كما سبق ذكره مجرد وصول السهم إلى مكان العدو سواء أصاب العدو أو لم يصبه ، ويدل عليه ما جاء عن عمرو بن عبسة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **من رمى العدو بسهم فبلغ سهمه العدو أصاب أو أخطأ فيعدل رقبة** " رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع .

وروى عبد الرزاق عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **ومن رمى بسهم بلغ العدو أو قصر كان كعدل رقبة** ".

وهذا يدل على أن الرمي في سبيل الله من أعظم ما تنال به درجات المجاهدين ودرجات الجنة الكبيرة ، وأن الرمي ولو لم يبلغ العدو أو أخطأ فيه صاحبه ، فإنه مأجور عليه كأجر عتق رقبة .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :" **ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان** " قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ما لكم لا ترمون** " قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم " **ارموا فأنا معكم كلكم** " رواه البخاري .

قال الشوكاني في النيل " قوله " ينتضلون " بالضاد المعجمة أي يترامون ، والنضال الترامي للسبق ونضل فلان فلانا إذا غلبه ، قال في القاموس ناضلة مناضلة ونضالا وتنضالا باراه في الرمي ونضلته سبقته فيه " انتهى .

قال المناوي في الفيض " فيه فضل الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية التمرن على الجهاد والتدرب ورياضة الأعضاء لذلك " انتهى .

وعن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول :" **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " ألا أن القوة الرمي ألا أن القوة الرمي ألا أن القوة الرمي** " رواه مسلم .

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي " " **ألا** " للتنبيه " **إن القوة الرمي** " أي هو العمدة " ثلاث مرات " كررها ثلاثا لزيادة التأكيد أو إشارة إلى الأحوال الثلاث من القلة والكثرة وبينهما ، فإنها نافية في جميعها " انتهى .

قال الثعالبي في تفسيره "ولما كانت السهام من أنجع ما يتعاطى في الحرب وانكاه في العدو وأقربه تناولا للأرواح خصها صلى الله عليه وسلم بالذكر والتنبيه عليها " انتهى .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **ستفتح عليكم أرضون ، ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه** " رواه مسلم.

قال القاري في المرقاة " قال المظهر يعني أهل الروم ، غالب حربهم الرمي ، وأنتم تتعلمون الرمي ليمكنكم محاربة أهل الروم ، وستفتح عليكم ويدفع الله عنكم شر أهل الروم ، فإذا فتح لكم الروم ، فلا تتركوا الرمي وتعلمه ، بأن تقولوا لم نكن نحتاج في قتالهم إلى الرمي ، بل تعلموا الرمي وداوموا عليه ، فإن الرمي مما يحتاج إليه أبدا " انتهى .

قال العز بن عبد السلام في كتابه أحكام الجهاد وفضائله " وإنما شرف الرمي لعموم منفعته ، لأنه يقاتل به القاصي والداني ، ومن القلاع والحصون ، ومن الأودية والوهاد ، مع غلبة سلامة الرماة ، ولا يتأتى مثل ذلك في السيف والسنان ، ولذلك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم الرمي " انتهى .

قال القرطبي في تفسيره " وفضل الرمي عظيم ومنفعته عظيمة للمسلمين ، ونكايته شديدة على الكافرين" انتهى .

فصل في فضل إرهاب العدو في الجهاد وتخويفه:

قال تعالى **" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"** .

والإرهاب هو التخويف .

فهذه الآية فيها أن من مقاصد الإعداد هو إرهاب أعداء الله عز وجل وإخافتهم ، فدل ذلك على أنه مقصد محبوب إلى الله عز وجل ، ولهذا شرع لأجله هذه العبادات العظيمة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**" خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه أو قال برسن فرسه خلف أعداء الله يخيفهم و يخيفونه ، أو رجل معتزل في باديته يؤدي حق الله تعالى الذي عليه "** رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

فأثنى على هذا المجاهد بكونه يخيف العدو ، وهذا يدل على أنه عمل فاضل في الجهاد .

وقال الرازي في تفسيره في الثمرات والمصالح والفوائد الناتجة عن إرهاب العدو وإخافته " **" ترهبون به عدو الله وعدوكم "** وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم ، وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة أولها : أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام ، وثانيها : أنه إذا اشتد خوفهم ، فربما التزموا من عند أنفسهم جزية ، وثالثها : أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان ، ورابعها : أنهم لا يعينون سائر الكفار ، وخامسها : أن يصير ذلك سبباً لمزيد الزينة في دار الإسلام " انتهى .

فصل في فضل الإعداد في سبيل الله :

قال تعالى " **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ".

والإعداد كما عرفه بعضهم هو التهيئة للشيء المستقبل .

وقوله " **ما استطعتم** " أي أقصى قدرتكم وطاقتكم .

وللإعداد أهمية كبيرة ، فإن قوة الجهاد والمجاهدين تكون بحسب إعدادهم وتجهيزهم .

قال أبو حيان في البحر المحيط " والظاهر العموم في كل ما يتقوى به على حرب العدوّ مما أورده المفسّرون على سبيل الخصوص ، والمراد به التمثيل كالرّمي وذكور الخيل وقوّة القلوب واتفاق الكلمة والحصون المشيدة وآلات الحرب وعددها والأزواد والملابس الباهية ، حتى أنّ مجاهداً رؤي يتجهز للجهاد وعنده جوالق فقال : هذا من القوة ، وأما ما ورد في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول " **وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ألا وإنّ القوة الرّمي ألا إن القوة الرمي** " فمعناه والله أعلم أنّ معظم القوة وأنكاها للعدو الرمي كما جاء الحجّ عرفة " انتهى .

وقال أيضا " والمعنى أنّ الكفار إذا علموا بما أعددتم للحرب من القوة ورباط الخيل خوفوا من يليهم من الكفار وأرهبوهم ، إذ يعلمونهم ما أنتم عليه من الإعداد للحرب فيخافون منكم وإذا كانوا قد أخافوا من يليهم منكم ، فهم أشد خوفاً لكم" انتهى .

وقال البغوي في تفسيره " قوله تعالى: " **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** " الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة ، " من قوة " أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاك " انتهى .

وفي الإعداد للجهاد علامة على صدق الرجل المعد ، وعلامة على براءته من النفاق إن شاء الله كما قال تعالى عن المنافقين " **ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** " .

قال العز بن عبد السلام في أحكام الجهاد وفضائله " إذا علم عدوك أنك متيقظ له ، مستعد لقتاله ، خافك وانقطعت أطماعه منك " انتهى .

فصل في فضل الرباط في سبيل الله :

الرباط : قال ابن عطية القول الصحيح : أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله ، أصلها من ربط الخيل ، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين مرابطا فارسا كان أو راجلا .

وعلى ذلك فكل ملازمة في الجهاد للعدو فهي مرابطة سواء أكانت على الثغر أم غيره .

قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** " .

وله فضائل كثيرة وعظيمة منها :

الأولى : أن رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها :

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها** " رواه البخاري .

قال المناوي في التيسير " " **رباط يوم** " أي ثواب رباط يوم " انتهى .

وقد مضى معنى " **خير من الدنيا وما عليها** " في فضل الغدوة والروحة.

والمقصود أن الثواب الحاصل برباط يوم خير من أن تحصل الدنيا جميعا بلذاتها وزهرتها وجميع ما فيها لشخص .

الثانية : أن المرابط يجري عليه عمله بعد موته ولا ينتهي أجره إلى يوم القيامة :

فالمرابط حين يموت يستمر أجره ولا ينقطع ، وذلك يشمل أجر رباطه وكذلك أجر كل عمله الصالح الذي كان يعمله من صلاة وصيام وصدقة ورباط وغير ذلك ، فكل يوم ترفع إليه أجور الأعمال التي كان يعملها إلى يوم القيامة .

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال **" كل الميت يختم على عمله إلا المرابط ، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان القبر "** رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه المناوي في التيسير .

وفيه أن ذلك مختص بالذي يموت مرابطا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال **:" من مات مرابطا في سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل ، وأجري عليه رزقه ، وأمن من الفتان ، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع "** رواه ابن ماجه بإسناد صحيح كما قال المنذري في الترغيب وابن النحاس في المشارع والألباني في الترغيب والترهيب .

قال القرطبي في تفسيره في هذين الحديثين - يعني حديث سلمان وحديث فضالة –" دليل على أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في حديث أبي هريرة **" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "** رواه مسلم ، فإن الصدقة الجارية ، والعلم المنتفع به ، والولد الصالح الذي يدعو لأبويه ينقطع ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد ، والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة ، لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب ، فتنقطع بانقطاعه ، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة ، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو ، والتحرز منهم بحراسة بيضة الدين ، وإقامة شعائر الإسلام " انتهى كلامه.

قال ابن النحاس في المشارع " ومنها : أن كل ميت إذا مات ينقطع عمله إلا المرابط إذا مات في رباطه ، فإنه يجري عليه أجر عمله الصالح من الرباط وغيره إلى يوم القيامة " انتهى .

وقال السيوطي في الديباج " جرى عليه عمله الذي كان يعمله في حال رباطه وأجر رباطه " انتهى .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال :" ليس من رجل يخرج نفسه إلا رأى منزله قبل أن يخرج نفسه غير المرابط يجري عليه أجره أو قال رزقه ما كان مرابطا" رواه ابن المبارك في الجهاد .

قال ابن النحاس في المشارع " وهو معنى الأحاديث المرفوعة ، فإن الميت ينتهي عمله ويختم عليه مع آخر نفس منه فيرى منزلته التي استوجبها بجملة عمله الذي صدر منه في مدة حياته ، والمرابط لا يرى منزلته عند اللهّ تعالى ، لأنه لا ينتهي عمله بانتهاء حياته بل أجره يتضاعف ويتزايد بعد موته إلى يوم القيامة ، ولا يعلم أحد ما ينتهي إليه أجره ، وتبلغه منزلته إلا الله سبحانه ، ولكن يرى عند الموت ما يستبشر به ويسر ، ويرى منزلته وهي في عروج وصعود أبدا لا تبلغ منتهاها إلى يوم القيامة ، جل من لا يحصى فضله " انتهى .

وهذا الفضل الذي ثبت للمرابط هو أيضا يحوي ميزة أخرى وفضيلة أخرى ، وهو أن الأجر الذي يجري عليه من عمله الصالح يتضاعف ويتزايد ، ولا يجري له نفس أجره فقط ، والدليل عليه قوله في حديث فضالة بن عبيد السابق " **فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة** " فإن النماء يفيد الزيادة والمضاعفة ، ولهذا قال القرطبي في تفسيره " والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة ، لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة ، وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه ، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة وهذا لان أعمال البر كلها لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين وإقامة شعائر الاسلام وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الاعمال الصالحة، خرجه ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **من مات مرابطا في سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع** " وفي هذا الحديث قيد ثان وهو الموت حالة الرباط والله أعلم" انتهى.

وقد مضى في كلام ابن النحاس السابق قوله عن المرابط " بل أجره يتضاعف ويتزايد بعد موته إلى يوم القيامة ولا يعلم أحد ما ينتهي إليه أجره ، وتبلغه منزلته إلا الله سبحانه " انتهى .

الثالثة : أن المرابط يؤمن من فتنة القبر :

والمقصود من فتنة القبر هو سؤال الملكين للعبد من ربك ومن نبيك وما دينك ؟ فالمرابط آمن من تلك الفتنة ، وذلك الامتحان .

عن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان** " رواه مسلم .

والفتان هنا المراد به فتنة القبر ، ولهذا قال في رواية أبي داود السابقة " **ويؤمن من فتان القبر** " .

الرابعة : أن المرابط يجري عليه رزقه من الجنة :

فكما يرزق الشهيد كذا يرزق المرابط في حياة البرزخ ، وقد سبق في حديث سلمان " **وأجري عليه رزقه** " .

قال القرطبي في المفهم " وقوله :" **وأجري عليه رزقه** " يعني به – والله تعالى أعلم– : أنه يرزق في الجنة كما يرزق الشهداء ؛ الذين تكون أرواحهم في حواصل الطير ، تأكل من ثمر الجنة ، كما تقدَّم في الشهيد " انتهى .

قال القاري في المرقاة ناقلا عن الطيبي قوله " ولما كان قوله " **وأجرى عليه رزقه** " تلميحا إلى قوله تعالى " **يرزقون** " أجرى مجراه في البناء للمفعول" انتهى .

الخامسة : أن المرابط يأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة :

فيأمن من أهوال يوم القيامة والأحداث والمخاوف هناك ، وقد مضى في حديث أبي هريرة " **وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع** " .

وهذا فضل عظيم يعرفه من علم أهوال يوم القيامة وأفزاعها .

السادسة : أن رباط يوم في سبيل الله خير وأفضل من صيام شهر وقيامه في الأجر :

عن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه** " رواه مسلم .

وهذا فضل عظيم يدل على مضاعفة أجر الرباط على غيره من الأجور ، وعلى أفضلية عمل الرباط على غيره من الأعمال ، ولاحظ أنه قال في الحديث " **خير من صيام شهر وقيامه** " ولم يقل يعدل ، فهذا يعني أن أجر رباط يوم أفضل من أجر صيام شهر وقيام ، ولا يساويه ، وعلى ذلك فأجر رباط شهر أفضل من صيام ٩٠٠ يوم وقيامها أي قريبا من ثلاث سنوات بالعملية الحسابية ، فكيف بمن رابط سنة أو سنوات كم يضاعف له من الأجر؟

ولا يعارض هذا ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **رباط شهر خير من صيام دهر ، ومن مات مرابطا في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر ، وغدي عليه برزقه وريح من الجنة ، ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله عز وجل** " رواه الطبراني وقال المنذري والهيثمي ورجاله ثقات وصححه المناوي في التيسير والألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

فإن كونه خير من صيام دهر يعني أنه أفضل من صيام دهر ، وهذا لا يعارض أنه أفضل من صيام وقيام ثلاث سنوات تقريبا كما قدمنا ، ولعل الفضل الأول جاء بأنه أفضل من صيام دهر ثم زاد الفضل بحديث مسلم السابق .

وحسبك بهذا الفضل فضلا للرباط .

السابعة : أن المرابط في سبيل الله إذا مات يموت شهيدا :

فإذا مات المرابط وهو في رباطه فإنه يعطى منزلة الشهادة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **من مات مرابطا ، مات شهيدا ، وقي فتان القبر ، وغدي وريح برزقه من الجنة ، وجرى عليه عمله** " رواه عبد الرزاق وابن حبان ، وهذا النوع من الشهادة جود طرقها الحافظ في الفتح ، وفتان القبر هو مساءلة الملكين وامتحانهما للميت في القبر.

وأيضا وردت أحاديث في المرابط تدل على أنه يعطى بعض خصال الشهادة ، كالوقاية من الفتان ، وأنه يرزق ، وأنه يأمن الفزع الأكبر ، وكل هذه من خصال الشهادة كما سيأتي إن شاء الله .

وأيضا المرابطة من الجهاد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، كما مضى بيانه ، وهذا فضل عظيم للمرابط أنه يعطى تلك المنزلة ولو يقتل بل مات موتة طبيعية ما دام في رباطه.

الثامنة : أن الرباط في سبيل الله ثلاثة أيام أعظم من أجور المتعبدين مهما بلغت عبادتهم:

عن أبي هريرة رضي اللهّ عنه قال :" إذا رابطت ثلاثا فليتعبد المتعبدون ما شاءوا " رواه ابن أبي شيبة، موقوفا بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس في المشارع .

والمراد ليتعبد المتعبدون ما شاءوا ، فلن يدركوه في الثواب والسبق والأجر .

التاسعة : أن المقام في أرض الرباط أفضل من المقام في مكة والمدينة وبيت المقدس :

قال ابن النحاس في المشارع " وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللهّ إجماع العلماء على أن إقامة الرجل بأرض الرباط مرابطا أفضل من إقامته بمكة والمدينة، وبيت المقدس.

وحكى ابن المنذر في الأوسط عن الإمام أحمد بن حنبل، أنه سئل : المقام بمكة أحب إليك أم الرباط ؟ قال : الرباط أحب إلي .

وقال أحمد أيضا: ليس يعدل عندنا شيء من الأعمال الغزو والرباط، انتهى.

وقد سأل رجل الإمام مالكا رحمه الله : أيما أحب إليك أقيم بالمدينة الشريفة أو أقيم بالإسكندرية؟ فقال : بل أقم بالإسكندرية " انتهى كلامه .

فصل في فضل الإغلاظ على الكفار والشدة عليهم في الجهاد :

قال تعالى " **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** " .

وقال تعالى " **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** " .

وقال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة** " .

فأمر الله سبحانه بالإغلاظ على المشركين والكفار في القتال وعند الجهاد ، وأثنى سبحانه على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكونهم أشداء على الكفار ، فهذا يدل على أنه عمل محبوب إلى الله ، وذلك ينبئ على قوة العداوة الموجودة في القلب على الكفار .

فصل في فضل الرجوع والقفول من الغزو :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " **قفلة كغزوة** " رواه أبو داود وصححه المناوي في التيسير والألباني في صحيح الجامع.

قال المناوي في التيسير " " **قفلة** " هي المرة من القفول وهي الرجوع من سفر " انتهى .

قال القاري في المرقاة " والمعنى يثاب الغازي بقفوله ورجوعه كما يثاب بتوجهه إلى العدو وغزوه ، لأن حركات القفول من توابع الغزو فتكون في حكمه " انتهى .

فالعبد الذي يرجع من غزوه إلى بيته يكون مأجورا على رجوعه كأجره في ذهابه إلى غزوه ، وعمله هذا تابع لغزوه.

فصل في فضل غزو البحر :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته ، وجعلت تفلي رأسه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال :" **ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة** – شك إسحاق – قالت فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وضع رأسه ، ثم استيقظ وهو يضحك ، فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال:" **ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله** – كما قال في الأول – قالت فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال :" **أنت من الأولين** " فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

عن أم حرام رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " **المائد في البحر الذى يصيبه القئ له أجر شهيد ، والغرق له أجر شهيدين** " رواه أبو داود ، وجود طريقه الحافظ في الفتح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، وقال ابن النحاس: رجاله ثقات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **غزوة في البحر أفضل من عشر غزوات في البر ، ومن جاز البحر فكأنما جاز الأودية ، والمائد في السفينة كالمتشحط في دمه** " رواه والحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

المائد هو الذي يلحقه غثيان ودوران في رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة ، من ماد يميد إذا دار رأسه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لو كنت رجلا لم أجاهد إلا في البحر ، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **من أصابه ميد في البحر كان كالمتشحط بدمه في البر** " رواه سعيد بن منصور ، وفيه راو مجهول ، ويشهد له ما قبله.

وورد عند سعيد بن منصور في سننه – بسند رجاله رجال الصحيح كما قال ابن النحاس – عن سعيد بن هلال أن كعب الأحبار كان يقول :" لصاحب البحر على صاحب البر من الفضيلة أنه حين يضع قدمه فيه إذا كان محتسبا ، تفتح

له أبواب الجنة ، فإن قتل أو غرق كان له كأجر شهيدين ، أنه يكتب له من حين يركب حتى يصير كأجر رجل ضربت عنقه في سبيل الله ، فهو يتشحط في دمه ، ويوم في البحر خير من شهر في البر ، وشهر في البحر خير من سنة في البر ".

وروى أيضا عنه – بإسناد جيد كما قال ابن النحاس – قال : " إذا وضع الرجل رجله في السفينة خلف خطاياه خلف ظهره كيوم ولدته أمه ، والمائد فيه كالمتشحط في دمه في سبيل الله ، والصابر فيه كالملك على رأسه التاج " .

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه – بإسناد جيد كما قال ابن النحاس – قال " إن الله يضحك إلى أصحاب البحر مرارا ، حين يستوي في مركبه ويخلي أهله وماله ، وحين يأخذه الميد في مركبه ، وحين يوجه البر فيشرف إليه ".

وروى أيضا عنه قال " لأن أغزو في البحر غزوة ، أحب إلي من أن أنفق قنطارا في سبيل الله عز وجل " .

قال ابن النحاس في المشارع " إذا كان المائد في البحر كالشهيد في البر ، فكيف يكون الشهيد فيه " انتهى كلامه.

وقال صاحب المغني كما في المشارع " غزو البحر أفضل من غزو البر ، لأن البحر أعظم خطرا ومشقة ، فإنه بين خطر العدو وخطر الغرق ، ولا يتمكن من الفرار إلا مع أصحابه ، فكان أفضل من غيره " انتهى كلامه.

قال ابن النحاس معلقا عليه " وينبغي أن لا يكون في هذا خلاف لما تقدم من فضله من الأحاديث الحسان وغيرها " انتهى كلامه.

ونقل ابن النحاس في المشارع عن ابن عساكر بإسناده عن خيثمة قال : كان عندنا بطرابلس رجل يعرف بعاصم ويكنى أبا علي ، فتوفي ، فرأيته في النوم فقلت : أيش حالك ؟ يا أبا علي ؟ فقال: إنا لا نكنى بعد الموت ، ولم يجبني بشيء غير هذا ، فقلت : أيش حالك يا عاصم ؟ وإلى ما صرت ؟ قال : صرت إلى رحمة واسعة ، وجنة عالية ، قلت : بماذا ؟ قال : بكثرة جهادي في البحر ".

فصل في فضل خوف المجاهد في سبيل الله :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه أو قال برسن فرسه خلف أعداء الله يخيفهم و يخيفونه ، أو رجل معتزل في باديته يؤدي حق الله الذي عليه** " رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في الصحيحة .

فأثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا بوصف هو كونه يخيف العدو ويصيبه الخوف منهم .

والخوف الذي يصيب المجاهد في جهاده من البلاء الذي يؤجر عليه ويدخل في فضل المصائب التي تصيب المجاهد كما قال تعالى " **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع** ..." فوصف الخوف بالبلاء .

فصل في فضل الحراسة في سبيل الله :

الأولى : أنها موجبة للجنة :

عن سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فأطنبوا – اطنبت الريح اطنابا إذا اشتدت في غبار – السير حتى كانت عشية ، فحضرت الصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوزان على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :" **تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله** " ثم قال " **من يحرسنا الليلة ؟** " قال أنس ابن أبي مرثد الغنوي :" أنا يا رسول الله " قال " **فاركب** " فركب فرسا له وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة** " فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال :" **هل أحسستم فارسكم ؟** " قالوا : يا رسول الله ما أحسسناه ، فثوب بالصلاة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته وسلم قال :" **أبشروا فقد جاءكم فارسكم** " فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب ، فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ، فقال : إني

انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحت اطلعت على الشعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحدا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " **هل نزلت الليلة ؟** " قال : لا إلا مصليا أو قاضيا حاجة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " **قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها** " رواه أبو داود وقال الحافظ في الإصابة إسناده على شرط الصحيح وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

قال المنذري في الترغيب والترهيب " **أوجبت** " أي أتيت بفعل أوجب لك الجنة " انتهى .

فهذا الرجل الذي حرس ليلة فقط في سبيل الله قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم " **قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها** " فوجب له بفعله الجنة وثبتت له بحراسة ليلة فقط .

وفي قوله " **هل نزلت الليلة** " فيه أن الحارس ينبغي له أن لا يقطع وينشغل عن الحراسة بأي مُلهٍ ، وأن يجتهد في إقامة الحراسة على الوجه المطلوب من التحرز واليقظة وعدم الغفلة والانشغال .

الثانية : أنه يحرم العبد على النار :

وعن أبي ريحانة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فأتينا ذات يوم على شرف فبتنا عليه ، فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر في الأرض حفرة يدخل فيها ، ويلقي عليه الجحفة يعني الترس ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس قال :" **من يحرسنا الليلة وأدعو له بدعاء يكون فيه فضل** " فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"**ادنه** " فدنا فقال :" **من أنت ؟** " فتسمى له الأنصاري ، ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فأكثر منه ، قال أبو ريحانة : فلما سمعت ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أنا رجل آخر قال :"**ادنه** " فدنوت فقال :" **من أنت ؟** " فقلت : أبو ريحانة ، فدعا لي بدعاء وهو دون ما دعا للأنصاري ، ثم قال :" **حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله عز وجل** " وقال : حرمت النار على عين أخرى ثالثة " رواه أحمد ، وقال الهيثمي ورجاله ثقات ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

فأخبر أن السهر في سبيل الله – ومن ذلك الحراسة – سبب في التحريم على النار .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله** " رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**عينان لا تمسهما النار عين باتت تكلأ في سبيل الله وعين بكت من خشية الله** " رواه أبو يعلى وقال المنذري في الترغيب والترهيب والهيثمي في المجمع ورواته ثقات وصححه الألباني في صحيح الجامع.

تكلأ : أي تحفظ وتحرس .

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي " قوله " **عينان لا تمسهما النار** " أي لا تمس صاحبهما ، فعبر بالجزء عن الجملة ، وعبر بالمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى ، وفي رواية " **أبدا** " وفي رواية " **لا تريان النار** " ثم قال " والأظهر أن المراد به الحارس للمجاهدين لحفظهم عن الكفار " انتهى .

وقال المناوي في التيسير " " **وعين باتت تحرس في سبيل الله** " أي في الثغر أو الجيش ونحوهما "انتهى .

وعلى هذا فالحراسة تعم أي حراسة يحرسها المجاهدين أيا كان المقصود من الحراسة فسواء حرس المسلمين عامة بحراسته كما يحصل في الرباط أو حرس المجاهدين أنفسهم كما يحصل كثيرا في ساحات الجهاد وهذا هو الأصل فيها ، ولهذا عد بعض العلماء الحراسة من الرباط .

الثالثة : أنها أفضل من ليلة القدر :

عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر حارس حرس في أرض خوف ، لعله أن لا يرجع إلى أهله** " رواه الحاكم ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

والمقصود والله أعلم بحارس الحرس أي حارس المجاهدين ، فإن المجاهدين هم حرس المسلمين ، وحصنهم من أعدائهم الكفار بعد الله تعالى .

قال السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه على حديث " **رحم الله حارس الحرس** " وهو حديث ضعيف قال " الحرس بفتحتين جمع الحارس معنى كالخدم جمع الخادم والطلب جمع الطالب والمراد العسكر فإنهم يحرسون المسلمين فحارس العسكر صار حارسا للحرس " انتهى .

وهذا فضل عظيم يدل على أن حراسة ليلة في أرض مخوفة أفضل من ليلة القدر التي تعدل عبادة ٨٣ سنة تقريبا ، فكيف بمن حرس كذلك أياما عدة ؟ فلا شك أنه حصل أجرا عظيما لا يقدر قدره إلا الله عز وجل .

وقد روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس في المشارع عن مكحول قال : من بات حارسا حتى يصبح تحاتت عنه خطاياه .

وروى – أيضا – عن حسان بن عطية مثله بإسناد صحيح كما قال ابن النحاس ، وحسان ابن عطية تابعي أيضا جليل.

الرابعة : أن الحراسة من الرباط وتثبت لها فضائل الرباط :

قال ابن النحاس " واعلم : أن الحراسة في سبيل الله تعالى من أعظم القربات وأعلى الطاعات ، وهي أفضل أنواع الرباط ، وكل من حرس المسلمين في موضع يخشى عليهم فيه من العدو ، فهو مرابط ولا ينعكس ، فللحارس في سبيل الله أجر المرابط " انتهى .

قال العز بن عبد السلام في كتاب أحكام الجهاد وفضائله " الحراسة في سبيل الله ضرب من الجهاد ثوابها على قدر نفعها وجدواها وطولها وقصرها ولا يخفى ما في الحراسة من نفع المسلمين " انتهى .

فصل في فضل رصد العدو وجمع المعلومات عنه :

عن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جُعِلْتُ أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء ، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا ، فلما رجعت قلت: يا أبتي رأيتك تختلف ، قال : أو هل رأيتني يا بني ؟ قلت : نعم ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم** ؟ فانطلقت ، فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه ، فقال:" **فداك أبي وأمي** " رواه البخاري ومسلم .

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي " وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بأمره وذلك لأن الانسان لا يفدى إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له" انتهى.

قال بعضهم " لقد كان من النادر أن يجمع الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد أبويه ، فيقول : " **فداك أبي وأمي** " وكان الذي يُعطاها يتلذَّذ بها ويذكرها على سبيل الاعتزاز والإكرام ، فهي من الأوسمة النبوية التي استحقها المجاهد في سبيل الله ، وقد نالها الزبير رضي الله عنه وهو ينفِّذ رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع المعلومات عن العدو ، وهذا من الأدلة الواضحة على فضل أي عمل يؤدِّيه المسلم في باب الجهاد في سبيل الله" انتهى .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " **من يأتيني بخبر القوم** ؟ "يوم الأحزاب ، قال الزبير : أنا ، ثم قال :" **من يأتيني بخبر القوم** ؟ " قال الزبير: أنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " **إن لكل نبي حواريا ، وحواري الزبير**" رواه البخاري ومسلم .

وبوب عليه البخاري باب فضل الطليعة ، قال الحافظ في الفتح " أي من يبعث إلى العدو ليطلع على أحوالهم " انتهى .

والحواري أي المفضلة والخاصة بالرجل ، وقيل الناصر .

عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة ، فقال رجل : لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت ، فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب ، وأخذتنا ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ألا رجل يأتيني بخبر القوم ، جعله الله معي يوم القيامة** " فسكتنا ، فلم يجبه منا أحد ، ثم قال :" **ألا رجل يأتينا بخبر القوم ، جعله الله معي يوم القيامة** " فسكتنا ، فلم يجبه منا

أحد ، ثم قال :" **ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة** ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، فقال :" **قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم** " فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم ، قال :" **اذهب فأتني بخبر القوم ، ولا تذعرهم علي** " فلما وليت من عنده ، جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم ، فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار ، فوضعت سهما في كبد القوس ، فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ولا تذعرهم علي** " ولو رميته لأصبته ، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام ، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم ، وفرغت قررت ، فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها ، فلم أزل نائما حتى أصبحت ، فلما أصبحت قال :" **قم يا نومان** " رواه مسلم .

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم لمن يأتيه بخبر القوم أن يجعله الله مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وهذا يدلك على عظمة هذا العمل ، وذلك لما يكون في كثير من الأحيان في الرصد على العدو من المخاطرة والاقتراب من العدو وصعوبة التحرز منه.

عن يسير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا : يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة ، قال : فقعد وكان متكئا ، فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ، ثم قال بيده هكذا – ونحاها نحو الشأم – فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ، ويجمع لهم أهل الإسلام ، قلت : الروم تعني ؟ قال : نعم ، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة ، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يمسوا ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام ، فيجعل الله الدبرة عليهم ، فيقتلون مقتلة – إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها – حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا ، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم ، فبينما هم كذلك ، إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك ، فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم ، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون ، فيبعثون عشرة فوارس طليعة ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ** " رواه مسلم .

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " **تفتح يأجوج ومأجوج ، فيخرجون كما قال الله تعالى " وهم من كل حدب ينسلون " فيعمون الأرض ، وينحاز منهم المسلمون ، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم ، ويضمون إليهم مواشيهم ، حتى أنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذرون فيه شيئا ، فيمر آخرهم على أثرهم ، فيقول قائلهم : لقد كان بهذا المكان مرة ماء ، ويظهرون على الأرض ، فيقول قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم ، ولننازلن أهل السماء ، حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء ، فترجع مخضبة بالدم ، فيقولون : قد قتلنا أهل السماء ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله دواب كنغف الجراد ، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد ، يركب بعضهم بعضا ، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا ، فيقولون : من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا ؟ فينزل منهم رجل ، قد وطن نفسه على أن يقتلوه ، فيجدهم موتى ، فيناديهم ألا أبشروا ، فقد هلك عدوكم ، فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم ، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم ، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط** " رواه ابن ماجه ، وصحح إسناده البوصيري في الزوائد ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

فصل في فضل الانغماس في العدو :

قال تعالى " **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد** " .

معنى يشري : أي يبيع ، أي من الناس من يبيع نفسه في الجهاد طلبا لمرضاة الله تعالى .

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس :" **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات اللهّ** " قال : أي قد شروا أنفسهم من اللهّ بالجهاد في سبيله ، والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعني : السرية .

وروى ابن المبارك، وابن أبي شيبة، عن مدرك بن عوف الأحمسي قال : كنت عند عمر رضي اللهّ عنه ، إذ جاءه رسول النعمان بن مقرن ، فسأله عمر عن الناس ، فقال : أصيب فلان ، وفلان ، وآخرون لا أعرفهم ، فقال عمر رضي اللهّ عنه : لكن اللهّ يعرفهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ورجل شرى نفسه ، فقال مدرك بن عوف : ذاك واللهّ خالي يا أمير المؤمنين، زعم الناس أنه ألقى بيده إلى الهلكة ، فقال عمر : كذب أولئك ، ولكنه ممن اشترى الآخرة بالدنيا .

وعن ابن عون عن محمد قال : جاءت كتيبة، من قبل المشرق ، من كتائب الكفار ، فلقيهم رجل من الأنصار ، فحمل عليهم ، فخرق الصف ، حتى خرج ، ثم كر راجعا ، فصنع مثل ذلك مرتين أو ثلاثا ، فإذا سعد بن هشام ، يذكر ذلك لأبي هريرة ، فتلا هذه الآية:" **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات اللهّ** " رواه ابن أبي شيبة.

فهؤلاء الصحابة أدخلوا المنغمس في العدو في هذه الآية وأنه ممن باع نفسه لله طلبا لمرضاته وقد ذكرهم الله عز وجل في هذه الآية على سبيل الثناء على فعلهم ودل هذا الفعل من الآية على أنه سبب لنيل رضا الله تعالى ونيل رحمته ورأفته فإنه ختم الآية بقوله " **والله رؤوف بالعباد** ".

عن أسلم أبي عمران قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل على العدو ، فقال الناس : مه مه ، لا إله إلا الله ، يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب : إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، لما نصر الله نبيه صـلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام ، قلنا : هلم نقيم في أموالنا ونصلحها ، فأنزل الله تعالى " وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية " رواه أبو داود وصححه الألباني في الصحيحة.

وخرج الحاكم وابن أبي حاتم أيضا عن أبي اسحق عن البراء رضي اللهّ عنه قال : قال له رجل : يا أبا عمارة ! قوله تعالى:" **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** " أهو الرجل يلقى العدو فيقاتل حتى يقتل ؟ قال : لا ، ولكنه الرجل يذنب الذنب ، فيقول : لا يغفره اللهّ لي ، قال الحاكم : صحيح على شرطهما.

وروى ابن أبي شيبة بإسناد جيد كما قال ابن النحاس في المشارع عن مجاهد قال : إذا لقيت العدو فانهد ، فإنما نزلت هذه الآية في النفقة " يقصد قوله تعالى " **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** " أي أن التهلكة هي ترك الإنفاق في سبيل الله .

ففي هذه الأدلة يتبين أن الانغماس في العدو إذا كان لمصلحة ليس من الإلقاء باليد إلى التهلكة المنهي عنها .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي اللهّ عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر ، عن قتال بدر ، فقال : يا رسول اللهّ ! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن اللهّ أشهدني قتال المشركين ، ليرين اللهّ ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون ، فقال : اللهم أعتذر إليك ، مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك ، مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول اللهّ ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به ، بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، فقال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه ، وفي أشباهه من المؤمنين :" **رجال صدقوا ما عاهدوا اللهّ عليه** " إلى آخر الآية.

فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه أقتحم وانغمس في العدو لوحده وقاتلهم حتى قتل ، ونزلت فيه هذه الآيات مثبتة لصدقه ومثنية عليه وعلى صنيعه .

وعن نعيم بن هبار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول ، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ، يضحك إليهم ربك ، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه** " رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار رضي الله عنه ، وقال الهيثمي والبوصيري رجاله ثقات ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، وصحح إسناده المناوي في التيسير.

فهؤلاء قاتلوا في الصف الأول وأقدموا على العدو غير مترددين ولا متلفتين إلى أن قتلوا فكانوا بهذا العمل من الذين يتلبطون في الغرف ويضحك الله إليهم وحال المنغمس كحالهم .

وخرج الطبراني في الكبير بإسناد حسن كما قال ابن النحاس في المشارع عن أبي الدرداء رضي اللهّ عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **ثلاثة يحبهم اللهّ وبضحك إليهم، ويستبشر بهم، الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه، فإما أن يقتل وإما أن ينصره اللهّ، ويكفيه، فيقول الله : انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه، والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل، فيقول : يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام في السحر في ضراء وسراء** " .

فهذا الرجل قاتل لوحده العدو بعد انكشاف فئته فكان بهذا الفعل ممن يحبهم الله تعالى .

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم** " يعني أصحابه " **فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه** " رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح أبي داود .

فهذا الرجل انغمس في العدو لوحده وقاتلهم لوحده فعجب ربنا من صنيعه مع فرار أصحابه.

قال ابن النحاس في مثل هذا الحديث " ولو لم يكن في الباب إلا هذا الحديث الصحيح لكفانا في الاستدلال على فضل الانغماس " انتهى.

وعن مجاهد عن يزيد بن شجرة – وكان يزيد بن شجرة رضي الله عنه ممن يصدق قوله فعله – خطبنا فقال :" يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، ما أحسن نعمة الله عليكم ترى من بين أخضر وأحمر وأصفر ، وفي الرحال ما فيها ، وكان يقول : إذا صف الناس للصلاة وصفوا للقتال ، فتحت أبواب السماء ، وأبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وزين الحور العين ، واطلعن فإذا أقبل الرجل قلن : اللهم انصره ، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن : اللهم اغفر له ، فانهكوا وجوه القوم فدى لكم أبي وأمي ، ولا تخزوا الحور العين ، فإن أول قطرة تنضح من دمه تكفر عنه كل شيء عمله ، وينزل إليه زوجتان من الحور العين ، يمسحان التراب عن وجهه ، ويقولان قد آن لك ويقول قد آن لكما ، ثم يكسى مائة حلة من ليست نسج بني آدم ، ولكن من نبت الجنة ، لو وضعن بين أصبعين لوسعن ، وكان يقول نبئت : أن السيوف مفاتيح الجنة " قال المنذري في الترغيب " رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة.

فصل في فضل الشهادة في سبيل الله :

وهذا باب واسع ، فأعظم عمل في الجهاد أجرا وفضلا هو الشهادة في سبيل الله ، وهو أكثر أعمال الجهاد أحاديثا وفضائلا ، والمقام لا يتسع لذكر بعضها فكيف بها كلها ، لكن سأذكر بعضها على سبيل الاختصار وأحيل أخي القارئ

إلى كتابي الآخر قمة السعادة في فضائل الشهادة فقد جمعت فيه تسعين فضيلة للشهادة مع شرحها ، فمن فضائل الشهادة :

أولا : أن الشهيد حي في البرزخ :

قال تعالى " **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون** " .

وقال تعالى " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ".

وتفسير حياة الشهيد هو أن روح الشهيد عندما تخرج من جسده الأول في الدنيا ، فإنها تبدل بجسد آخر وهو الطير الأخضر ، فيبقى حيا بذلك ، فإن الحياة هي بقاء الروح في الجسد ، والموت هو مفارقة الروح للجسد ، فأصبح الشهيد بذلك حيا ، وهو يعطى هذا الجسد لكي يتمتع باللذات الحسية في الجنة من الأكل والشرب والنكاح وغيره ، فإن الروح شيء لطيف لا تأكل ولا تشرب ، وإنما تستطيع الأكل والشرب بواسطة الجسد ، وبهذا المعنى للحياة فسرها النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لما سئل عن الآية السابقة في حياة الشهداء قال " **أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل** ...." رواه مسلم ، ففسر الحياة بكون أرواحهم ف جوف طير أخضر .

ومعنى قوله تعالى في الآية السابقة " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا** ...." أي لا تحسبنهم كبقية الأموات ، بل قد خصوا عنهم بكون أرواحهم في أجساد ، أما بقية الأموات فإنها تبقى أرواحا مجردة بلا أجساد إلى يوم القيامة .

ثانيا : أن الشهيد لا يجد من ألم القتل وسكرات الموت إلا كمس القرصة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة** " رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي " قوله " **من مس القتل** " وفي رواية ألم القتل " **من مس القرصة** " وفي رواية ألم القرصة ، وهي بفتح القاف وسكون الراء هي المرة من القرص ، قال في القاموس القرص أخذك لحم إنسان بأصبعيك حتى تؤلمه ، ولسع البراغيث انتهى ، وذا تسلية لهم عن هذا الخطب المهول " انتهى .

وهذا الحديث يشمل جميع القتلات التي يقتل بها الشهيد ، فسواء تمزق جسده إربا ، أو تقطعت أطرافه ، أو خرقه الرصاص ، أو أحرقته الصواريخ أو ... كل ذلك لا يجد منه إلا كمس القرصة .

وإذا كان الشهيد تأتيه عند احتضاره زوجتاه من الحور العين ، ويرى مقعده من الجنة كما سيأتي إن شاء الله ، وتبشره ملائكة الرحمة التي تبشر كل مؤمن عند موته ، فماذا سيحس به من الألم ؟

ثالثا : أن الشهيد يدخل الجنة من حين يقتل :

فتكون حياة الشهيد في البرزخ كلها في الجنة حتى تقوم القيامة ، فعن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآية " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** " قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال :" **أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا** " رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **مثل المجاهد في سبيل الله ، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ، كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة** " رواه البخاري.

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** " رواه البخاري.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أرأيت إن قتلت فأين أنا ؟ قال :" **في الجنة** " فألقى تمرات في يده ، ثم قاتل حتى قتل" متفق عليه .

رابعا : أن الشهيد يرزق في الجنة :

قال تعالى عن الشهداء " **بل أحياء عند ربهم يرزقون** " .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب ؟ فقال الله سبحانه : أنا أبلغهم عنكم قال فأنزل الله " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله" إلى آخر الآية** " رواه أبو داود ، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود .

فهم يأكلون فيها ويشربون ، كما جاء في هذا الحديث ، وفيه أنه وجدوا طيب المأكل والمشرب ، كيف لا وهم في الجنة ؟

خامسا : أن الشهيد مقرب عند الله تعالى :

قال تعالى عن الشهداء " **بل أحياء عند ربهم** " وقال تعالى " **والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم** " .

ولفظ " **عند** " في اللغة إذا أطلق فإنه يفيد غاية القرب ، قال ابن منظور في لسان العرب على كلمة عند " قال الأَزهري وهي بلغاتها الثلاث أقصى نهايات القرب ولذلك لم تصغر " " انتهى ، والمقصود باللغات الثلاث ضم العين وفتحها وكسرها ، ولهذا قال القرطبي في تفسير الآية السابقة " و " **عند** " هنا تقتضي غاية القرب ، فهي ك (لدى) ولذلك لم تصغر فيقال " عنيد " قال سيبويه " انتهى .

وقد أضاف الله تعالى العندية للشهداء مرتين في كتابه تأكيدا لمعنى قربهم منه سبحانه .

ويؤيد قربهم أيضا أنهم جعلوا في البرزخ في أقصى غاية القرب من الله تعالى كما سيأتي إن شاء الله ، وذلك أنهم جعلوا في قناديل معلقة في العرش ، وهذا من أعظم القرب من الله تعالى .

وكذا يؤيد قربهم علو درجتهم في الجنة كما سيأتي إن شاء الله ، وما أعد لهم من الكرامات التي تشابه ما أعد للمقربين .

وهذا الفضل ينبني عليه فضائل كثيرة مما ذكر مما أعد للمقربين في القرآن كما قال تعالى " **والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم ...**" .

سادسا : أن الشهيد يغفر له جميع ذنوبه :

قال تعالى " **ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون** " .

عن أبى قتادة رضي الله عنه عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم أنه قام فيهم فذكر لهم " **أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال** " فقام رجل فقال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله صـلى الله عليه وسلم :" **نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر** " ثم قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم :" **كيف قلت ؟**" قال :" أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله صـلى الله عليه وسلم :" **نعم ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك** " رواه مسلم .

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم " **للشهيد عند الله ست خصال ، يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه** " رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

ويشمل ذلك صغير الذنوب وكبيرها ، وأولها وآخرها .

وهذه المغفرة يميزها أنها تقع في آخر الحياة ، فلا يلحقها ذنب بعد ذلك ، فيقدم العبد على الله تعالى بلا ذنوب ، وينبني على هذه المغفرة فضائل أخرى ستأتي ، كالنجاة من عذاب جهنم ، والأمن يوم القيامة وغير ذلك .

سابعا : أن الشهيد يرى مقعده في الجنة قبل خروج روحه في الدنيا :

وقد مضى قريبا في حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم " **للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة** .." رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

والمقعد هو المنزلة المعدة في الجنة ، فيرى الشهيد منزلته في الجنة قبل خروج روحه وذلك في الدنيا .

وهذا فضل عظيم للشهيد وبشرى له بمنزلته ودرجته .

ثامنا : أن الشهيد يجار من عذاب القبر :

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **للشهيد عند الله ست خصال** ..... وذكر الخصال ومنها " **ويجار من عذاب القبر** ..." رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

وهذا فضل عظيم ، فإن الشهيد قد غفرت له ذنوبه جميعا كما سبق ، فلا يعذب على شيء منها مطلقا ، فيأمن من عذاب القبر .

تاسعا : أن الشهيد آمن من أهوال يوم القيامة :

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **للشهيد عند الله ست خصال** ..... وذكر الخصال ومنها " **ويأمن من الفزع الأكبر** " رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

والمراد بالفزع الأكبر أهوال يوم القيامة على خلاف بين العلماء في تفسيرها ، فهو آمن منها لعظمته وشرفه ولمغفرة ذنوبه في الدنيا ، ولعلو منزلته عند الله تعالى .

ومن قرأ عن أهوال يوم القيامة وشدتها علم عظم هذا الفضل .

عاشرا : أن الشهيد يتوج بتاج الوقار :

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **للشهيد عند الله ست خصال** ..... وذكر الخصال ومنها " **ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها** " رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

وهذا التاج يدل على عظمة صاحبه عند أهل الجنة ، وذلك من اسمه " تاج الوقار " ولما أعطيه الشهيد دل على أنه لا يعطى لأي أحد من أهل الجنة ، وإذا كانت الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها فكيف به كله ؟

الحادي عشر : أن الشهيد يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين :

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم :" **للشهيد عند الله ست خصال** ..... وذكر الخصال ومنها " **ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين** " رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

وهذا العدد بهذا الكم لم يرد إلا في الشهيد ، وهو أقل ما يعطاه أي شهيد ، وإلا فقد يزيد الله تعالى من فضله العبد بحسب عمله وشهادته ، وأما باقي المؤمنين فالذي ورد لهم كما جاء عن النبي صـلى الله عليه وسلم " **ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا** " رواه البخاري ، فانظر إلى الفارق بين العددين تعرف التفاضل بينهم .

الثاني عشر : أن الشهيد يشفع في سبعين من أقاربه :

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم :" **للشهيد عند الله ست خصال** ..... وذكر الخصال ومنها " **ويشفع في سبعين من أقاربه** " رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

عن نمران بن عتبة الذماري قال : دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام ، فقالت :" أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم " **يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته** " رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وهذا يدل على أن خير الشهيد يعم أهله وأقاربه ، والشفاعة إنما هي إكرام من الله تعالى للشافع أن يشفع ، فالشفاعة كرامة للشافع بهذا الأمر .

الثالث عشر : أن الشهيد يحلى بحلة الإيمان :

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم :" **للشهيد عند الله ست خصال** ..... وذكر الخصال ومنها " **ويحلى حلة الإيمان**" رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

والحلة هي الإزار والرداء ، ولا تكون إلا من ثوبين إذا كانا من جنس واحد .

وهذه الحلة من فضلها وعظمتها مما يختص بها بعض أهل الجنة ، وتكون لأناس مخصوصين كما جاء في بعض الأحاديث أنها تعطى لمن عمل كذا ، ومنهم الشهيد ، فيا لشرف الشهيد عند أهل الجنة عندما يلبسها ، وسميت حلة الإيمان لأنها تدل على إيمان صاحبها كما ذكره بعض الشراح .

الرابع عشر : أن الشهيد ينغمس في أنهار الجنة ويعوم فيها :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا الحسنة ، وربما قال :" **هل رأى أحد منكم رؤيا ؟** " فإذا رأى الرؤيا الرجل الذي لا يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عنه ، فإن كان ليس به بأس ، كان أعجب لرؤياه إليه ، فجاءت إليه امرأة ، فقالت : يا رسول الله رأيت كأني دخلت الجنة ، فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة ، فنظرت فإذا قد جئ بفلان بن فلان وفلان بن فلان حتى عدت اثني عشر رجلا ، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية قبل ذلك ، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم دما ، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدج ، فغمسوا فيه ، فخرجوا منه وجوههم مثل القمر ليلة البدر ، ثم أتوا بكراسي من ذهب ، فقعدوا عليها ، وأتوا بصحفة فأكلوا منها فما يقلبونها لشق إلا أكلوا فاكهة ما أرادوا ، وجاء البشير من تلك السرية ، فقال : كان من أمرنا كذا وكذا وأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلا الذين عدت المرأة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **علي بالمرأة** " فجاءت ، **قال** :" **قصي على هذا رؤياك** " فقصت فقال : هو كما قالت " رواه أحمد وأبو يعلى ، وقال الهيثمي في المجمع ورجال أحمد رجال الصحيح وقال الضياء المقدسي على شرط مسلم .

والمراد أنهم غمسوا في هذا النهر ، فانقلبوا بهذا الانغماس وتغيروا ، فأصحبت وجوههم كالقمر ليلة البدر .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعامر بن الأكوع :" **انزل يا عامر فاسمعنا من هنياتك** " فنزل وهو يرتجز :

(والله لولا الله ما اهتدينا ** ولا تصدقنا ولا صلينا)

(فأنزلن سكينة علينا ** وثبت الأقدام إن لاقينا)

(إن الأولى قد بغوا علينا)

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **يرحمك الله ربك** " فقال له عمر رضي الله عنه : يا نبي الله بأبي أنت ، هلا متعتنا من ابن الأكوع ، فصبحنا خيبر الغد ، فكان من خبر عامر أن حال عليه سيفه فقتله ، فقال الناس : قتل عامر نفسه ، فذهب سلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان من منية عامر أن حال عليه سيفه فقتله ، فزعم الناس أنه قتل نفسه ، فقال :" **كذبوا والذي نفسي بيده ، لكأني انظر إليه في الجنة يعوم عومان الدعموص** " رواه الطبراني في الكبير ، والدعموص هي دويبة صغيرة تغوص في الماء .

فشبه عومان عامر رضي الله عنه في أنهار الجنة كما يعوم الدعموص في الماء ، فإن العوم هو السباحة .

الخامس عشر : أن الشهيد وجهه كالقمر ليلة البدر :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا الحسنة ، وربما قال :" **هل رأى أحد منكم رؤيا** " فإذا رأى الرؤيا الرجل الذي لا يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عنه ، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرؤياه إليه ، فجاءت إليه امرأة ، فقالت : يا رسول الله رأيت كأني دخلت الجنة ، فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة ، فنظرت فإذا قد جيء بفلان بن فلان وفلان بن فلان ، حتى عدت اثني عشر رجلا ، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية قبل ذلك ، قالت : فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم ، قال فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو قال إلى نهر البيدج ، فغمسوا فيه ، فخرجوا منه وجوههم مثل القمر ليلة البدر ، ثم أتوا بكراسي من ذهب ، فقعدوا عليها..." الحديث وقد مضى قريبا ، رواه أحمد وأبو يعلى وقال الهيثمي في المجمع ورجال أحمد رجال الصحيح .

فهنا هؤلاء الشهداء لما غمسوا في نهر البيدخ ، خرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر في النور والجمال والبياض .

وقد جاء عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني رجل أسود ، منتن الريح ، قبيح الوجه ، لا مال لي ، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل ، فأين أنا ؟ قال :" **في الجنة** " فقاتل حتى قتل ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :" **قد بيض الله وجهك وطيب ريحك وأكثر مالك** " وقال لهذا أو لغيره :" **لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته** " رواه الحاكم ، وصححه ابن الملقن في البدر المنير والألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

فأخبر عنه أن الله تعالى قد بيض وجهه ، وهذا يشهد للحديث السابق في الشهيد .

السادس عشر : أن الشهيد نوره عظيم :

قال تعالى " **والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم** " أي لهم نور أنفسهم ، أي نور يخصهم ، والنور في الآخرة نوران :

نور يعطاه الشهيد عند الصراط لكي يعبر .

ونور يعطاه الشهيد في الجنة .

والنور الأول : يكون بحسب العمل كما ورد ، فإن كان عمل العبد عظيما كان نوره عظيما ، وإن كان عمله قليلا كان نوره كذلك ، ومعلوم أن الشهيد قد أتى زيادة على طاعاته بطاعة عظيمة وهي الشهادة في سبيل الله ، فيكون نوره على ذلك عظيما ، وعلى ذلك يكون عبوره على الصراط سريعا فإن السرعة في العبور تكون بحسب النور كما ورد .

وأما النور في الجنة ، فيكون بحسب درجة صاحبه ، فإنه كلما علت الدرجات ، كلما كانت الجنة أنور ، والشهيد من أعلى أهل الجنة منزلة ، فيكون نوره في الجنة عظيما .

قال ابن القيم في الفوائد " أنزه الموجودات وأظهرها وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتا وقدرا وأوسعها عرش الرحمن عز وجل ، ولذلك صلح لاستوائه عليه ، وكل ما كان أقرب الى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه ، ولهذا كانت جنّة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وانورها وأجلّها لقربها من عرش الرحمن الذي هو سقفها ، وكل ما بعد عنه كان أظلم وأضيق ، ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير " انتهى .

وقد مضى قريبا أن الشهيد يكون وجهه في الجنة كالقمر ليلة البدر وهذا أعلى ما يكون من نور أهل الجنة كما ورد في حديث البخاري في أول زمرة تدخل الجنة .

السابع عشر : أن الشهادة أفضل من ملك أهل المدر والوبر :

عن ابن أبي عميرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **لأن أقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل المدر والوبر** " رواه أحمد ، وحسن إسناده المنذري في الترغيب ، وقال الهيثمي في المجمع ورجاله ثقات ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

والمراد بأهل المدر : أهل الحضر ، وأهل الوبر : البادية .

فأن تحصل الشهادة لشخص أفضل من أن يكون ملكا على الحاضرة والبادية ، وهذا يفيد أنه يكون ملكا على جميع الناس ، فإن الناس إما حاضرة أو بادية ولا واسطة .

الثامن عشر : أن النبي صلى الله عليه وسلم تمنى الشهادة في سبيل الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **والذي نفسي بيده وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا** " فكان أبو هريرة يقولهن ثلاثا أشهد بالله " رواه البخاري ومسلم .

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم تمنى أن يقتل في سبيل الله أربع مرات ، وهو قد نال شرف النبوة وفضلها ، ويكفي هذا شرفا للشهادة وفضلا لها .

ومما يزيد الشهادة أيضا أهمية وفضلا وشرفا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتمناها فقط في هذا الحديث ، بل ورد أنه تمناها أيضا مرة أخرى ، فجاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر أصحاب أحد :" **أما والله لوددت أني غودرت مع أصحاب نحض الجبل** - يعني سفح الجبل - " رواه أحمد ، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع " وعلى ذلك يكون إسناده حسنا .

التاسع عشر : أن الشهيد يتمنى العودة إلى الدنيا لأجل الشهادة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وأن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة** " رواه مسلم .

وفي لفظ " **ما من نفس تموت لها عند الله خير ، يسرها أنها ترجع إلى الدنيا ، ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا ، لما يرى من فضل الشهادة** " رواه مسلم .

وهذا الحديث على إبهامه لكنه من أعظم ما يبين فضل الشهادة ، فإن الشهيد عندما يقتل ويرى الكرامة وفضل الشهادة ما هو فوق ما كان يتصوره ويرى الفضل العظيم يتمنى أن لو يعود حتى يحصل هذا الفضل مرة أخرى ، بل وعشر مرار.

العشرون : أن الله تعالى يرضى عن الشهيد :

عن أنس رضي الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم أقواما من بني سليم إلى بني عامر في سبعين ، فلما قدموا قال لهم خالي : أتقدمكم ، فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا كنتم مني قريبا ، فتقدم فأمنوه ، فبينما يحدثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ أومئوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه ، فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة ، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل – قال همام فأراه آخر معه – فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم :" **أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم** " فكنا نقرأ : أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا ، فرضي عنا وأرضانا ، ثم نسخ بعد ، فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم "متفق عليه .

وفيه أنهم استشهدوا ، فأخبروا أنهم قد لقوا الله عز وجل ، وأن الله تعالى قد رضي عنهم .

الحادي والعشرون : أن الشهيد يرضى عن الله تعالى :

ففي حديث أنس السابق في شهداء بئر معونة " فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم ، فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا " متفق عليه .

فلا يزال الشهيد يعطيه الله تعالى من الكرامات والأعطيات والفضائل حتى يرضى عن الله تعالى في عطائه ، وهذا يدل على أنه يعطى شيئا عظيما حتى يصل إلى حد الرضا ، ولهذا كما سبق يتمنى العودة إلى الدنيا لأجل الشهادة .

ومن زيادة رضا الشهيد عن الله تعالى في عطائه أنه لا يريد الزيادة على ما هو عليه ، فقد جاء في سنن الترمذي عن مسروق عن ابن مسعود : أنه سئل عن قوله " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** " فقال :" أما إنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا " **أن أرواحهم في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، فاطلع إليهم ربك اطلاعة ، فقال : هل تستزيدون شيئا فأزيدكم ؟ قالوا : ربنا وما نستزيد ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا ؟ ثم أطلع إليهم ثانية فقال : هل تستزيدون شيئا فأزيدكم ، فلما رأوا أنهم لم يتركوا ، قالوا : تعيد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا ، فنقتل في سبيلك مرة أخرى** " وصححه الألباني في صحيح الترمذي ، وأصله في مسلم .

والمراد أن الله تعالى قال لهم " **هل تستزيدون شيئا فأزيدكم** " **فقالوا : ربنا ما نستزيد نحن في الجنة نسرح حيث شئنا** " .

الثاني والعشرون : أن الشهيد لا يريد العودة إلى الدنيا بدون أن يقتل ولا يسره ذلك :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :" **أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح عليه ، وما يسرني أو قال ما يسرهم أنهم عندنا** " وقال وإن عينيه لتذرفان "رواه البخاري .

فالشهداء عندما يرون ما أعد لهم من الكرامة التي لا تقارن بالدنيا وما فيها ، لا يود أن يرجع إلى الدنيا ويترك ما هو فيه من الفضل والنعيم ، ولو جعلت له الدنيا جميعا .

الثالث والعشرون : أن الشهيد يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب :

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

" **إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره، والله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة ، فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي ، وقتلوا ، وأوذوا في سبيلي وجاهدوا ، ادخلوا الجنة ، فيدخلونها بغير حساب**" رواه أحمد والطبراني وزاد فيه: "**ادخلوا الجنة بلا عذاب ولا حساب ، وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا**

نحن نسبحك الليل والنهار ونقدس لك ، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الله جل ذكره : عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار" وقال الهيثمي ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة ، وحسن إسناده المنذري في الترغيب ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة .

وهذا فضل عظيم ينبني على ما سبق من مغفرة الله تعالى للشهيد في الدنيا ، فلا هناك ذنوب يحاسب عليها أو يعذب عليها .

الرابع والعشرون : أن الشهيد يجار من عذاب جهنم :

وقد سبق في الفضيلة التي قبل هذا في حديث عبد الله بن عمرو " **ادخلوا الجنة بلا عذاب ولا حساب** " رواه أحمد .

والشهيد قد غفرت ذنوبه في الدنيا ، فلا عذاب عليه ، لأن العذاب إنما يكون على الذنوب .

وقد جاء أن الشهيد يجار من عذاب القبر ، فإذا أجير من عذاب القبر فقد أجير من عذاب النار ، لأن القبر كما ورد عن عثمان أنه كان إذا وقفه على قبر بكى حتى يبل لحية ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه** " رواه الترمذي ، فإذا نجا من عذاب القبر نجا من غيره .

الخامس والعشرون : أن الشهيد يؤمن من فتنة القبر :

عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن رجلا قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال :" **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة** " رواه النسائي ، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

فالشهيد لا يمتحن ولا يفتن في قبره اكتفاء بامتحان ثباته عند لقائه للعدو ورؤيته للموت .

السادس والعشرون : أن الشهادة أفضل ما يؤتاه الصالحون :

فأفضل ما يعطاه الصالحون على صلاحهم هو الشهادة في سبيل الله .

عن عامر بن سعد رضي الله عنه عن أبيه أن رجلا جاء إلى الصلاة والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، فقال حين انتهى الصف :" اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين " فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ، قال :" **من المتكلم آنفا ؟** " فقال الرجل : أنا يا رسول الله ، قال :" **إذا يعقر جوادك وتستشهد** " رواه أبو يعلى وابن حبان والحاكم ، وحسنه الحافظ في نتائج الأفكار .

السابع والعشرون : أن الشهيد يطير في الجنة ويسرح منها شاء :

عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآية " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** " قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال :" **أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟**...." رواه مسلم .

فهو يطير في الجنة ويذهب منها حيث شاء بلا ممانع ولا منازع .

الثامن والعشرون : أن الشهيد يأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في العرش :

عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** " قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال :" **أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل** ..... " رواه مسلم .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش** ...." رواه أبو داود ، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

وهذا فضل عظيم أنها تأوي إلى قناديل ، وأي قناديل فهي من ذهب ، وفي أي مكان ، تحت العرش ، فنعم الفضل هذا للشهداء .

والقنديل في اللغة هو كالمصباح ، وعلى هذه التسمية تكون هذه القناديل منيرة ومضيئة ، وتكون للشهداء بمنزلة الأوكار للطيور .

التاسع والعشرون : أن الشهيد يرى الله عز وجل في البرزخ :

وهذا فضل عظيم من أعظم فضائل الشهيد ، فقد ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي :" **يا جابر ما لي أراك منكسرا ؟** " قلت : يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالا ودينا ، قال :" **أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟** " قال قلت : بلى يا رسول الله ، قال :" **ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وأحيا أباك ، فكلمه كفاحا ، فقال : يا عبدي تمن علي أعطك ، قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب عز وجل إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال : فأبلغ من ورائي ، فأنزلت هذه الآية " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا** " الآية " رواه الترمذي ، وحسنه المنذري في الترغيب ، والألباني في صحيح الترمذي .

فإن قال قائل إن هذا يحتمل الخصوصية في عبد الله بن حرام رضي الله عنه ؟

فالجواب : إن هناك حديث آخر في عموم الشهداء ، ويدفع احتمال الخصوصية في عبد الله بن حرام ، فعن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** " قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال :" **أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا** " رواه مسلم .

فقوله " **فاطلع إليهم ربهم اطلاعة** " يفيد أنهم رأوه ، فإن الاطلاع في اللغة يفيد الإشراف والظهور ، فهذا يفيد أنه قد ظهر لهم ، ولهذا قال القرطبي في المفهم " وقوله :" **فاطلع إليهم ربهم اطلاعة** " أي : تجلى لهم برفع الحجب عنهم ، وكلمهم مشافهة بغير واسطه ، مبالغة في الإكرام ، وتتميمًا للإنعام " انتهى .

ولاحظ أن السؤال الذي سُأله عبد الله بن حرام رضي الله عنه هو قريب من نفس السؤال الذي سأله هؤلاء الشهداء ، فهذا يفيد أنه ليس خاصا بعبد الله بن حرام .

ومما يدل أيضا على رؤية الشهداء لله عز وجل في البرزخ حديث أنس في شهداء بئر معونة وفيه " فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخ " رواه البخاري ومسلم .

ففي هذا الحديث أخبر الشهداء عن أنفسهم أنهم قد لقوا الله عز وجل ، وهذا يفيد أنهم رأوه ، فإن اللقاء يستلزم الرؤية في اللغة ، ولهذا استدل السلف بالنصوص الشرعية التي جاء فيها ذكر لقاء الله تعالى على رؤيته في الآخرة كقوله تعالى " **فمن كان يرجو لقاء ربه** " وقد قرر هذا المعنى شيخ الإسلام وابن القيم في مؤلفاتهم أن اللقاء مستلزم للرؤية وأن السلف استدلوا بهذا رؤية الله تعالى في الآخرة .

الثلاثون : أن الله تعالى يكلم الشهيد في البرزخ :

وهذا فضل عظيم وشرف جسيم للشهيد أن يحصل له هذا الأمر ، ولهذا الفضل العظيم خص موسى بكونه كليم الله تعالى ، فقد ورد عن الشهداء أن الله تعالى يكلمهم وأنهم يكلمونه ، فعن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآية " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** " قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال :" **أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا** " رواه مسلم .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق ، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب ؟ فقال الله سبحانه : أنا أبلغهم عنكم ، قال : فأنزل الله " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله** " إلى

آخر الآية " رواه أبو داود ، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود .

الحادي والثلاثون : أن أجر الشهيد كثير وعمله قليل :

فعندما ترى عمل الشهيد ترى أنه عبارة عن القتل ، وهو في غالب الأحيان لا يتجاوز الدقيقة أو الدقائق المعدودة ، بل قد يكون ثوان ، ومع ذلك فأجره عظيم وكبير وكثير بمعنى الكلمة ، ويشهد لهذا كل الفضائل التي ثبتت للشهيد ، عن البراء رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد ، فقال : يا رسول الله أقاتل أو أسلم ؟ قال :" **أسلم ثم قاتل** " فأسلم ثم قاتل فقتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **عمل قليلا وأجر كثيرا** " رواه البخاري .

الثاني والثلاثون : أن الحور العين يحضرن للشهيد عند احتضاره :

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني رجل أسود منتن الريح ، قبيح الوجه ، لا مال لي ، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال :" **في الجنة** " فقاتل حتى قتل ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" **قد بيض الله وجهك وطيب ريحك وأكثر مالك** " وقال لهذا أو لغيره " **لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته** " رواه الحاكم ، وصححه ابن الملقن في البدر المنير والألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه ، يريدون الغزو ، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء ، فقال : من القوم ؟ فقيل له : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يريدون الغزو ، فقال : هل من عرض الدنيا يصيبون ؟ قيل له : نعم ، يصيبون الغنائم ، ثم تقسم بين المسلمين ، فعمد إلى بكر له ، فاعتقله ، وسار معهم ، فجعل يدنو بكره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل أصحابه يذودون بكره عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **دعوا لي النجدي فو الذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة** " قال : فلقوا العد فاستشهد ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه فقعد عند رأسه مستبشرا أو قال : مسرورا يضحك ، ثم أعرض عنه ، فقلنا : يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه ، فقال :" **أما ما رأيتم من استبشاري** أو

قال : **سروري ، فلما رأيت من كرامة روحه على الله تعالى ، وأما إعراضي عنه ، فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه "** رواه البيهقي في الشعب ، وحسنه المنذري في الترغيب ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

وعن مجاهد عن يزيد بن شجرة – وكان يزيد بن شجرة رضي الله عنه ممن يصدق قوله فعله – خطبنا فقال :" يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، ما أحسن نعمة الله عليكم ترى من بين أخضر وأحمر وأصفر ، وفي الرحال ما فيها ، وكان يقول : إذا صف الناس للصلاة وصفوا للقتال ، فتحت أبواب السماء ، وأبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وزين الحور العين ، واطلعن فإذا أقبل الرجل قلن : اللهم انصره ، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن : اللهم اغفر له ، فانهكوا وجوه القوم فدى لكم أبي وأمي ، ولا تخزوا الحور العين ، فإن أول قطرة تنضح من دمه تكفر عنه كل شيء عمله ، وينزل إليه زوجتان من الحور العين ، يمسحان التراب عن وجهه ، ويقولان قد آن لك ويقول قد آن لكما ، ثم يكسى مائة حلة من ليست نسج بني آدم ، ولكن من نبت الجنة ، لو وضعن بين أصبعين لوسعن ، وكان يقول نبئت : أن السيوف مفاتيح الجنة " قال المنذري في الترغيب " رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة والبيهقي في كتاب البعث إلا أنه قال :" فإن أول قطرة تقطر من دم أحدكم يحط الله عنه بها خطاياه كما يحط الغصن من ورق الشجر ، وتبتدره اثنتان من الحور العين ، وتمسحان التراب عن وجهه ويقولان قد آن لك ويقول قد آن لكما ، فيكسى مائة حلة لو وضعت بين أصبعي هاتين لوسعتاهما ، ليست من نسج بني آدم ولكنها من نبات الجنة ، مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم " وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

ففي هذه الأحاديث تظهر عدة أعمال تقوم بها الحور عند مقتل الشهيد :

أنها تنزل إليه إلى مكان مقتله وإلى جثته ، ولا تنتظر مجيئه إلى الجنة .

أنها تنازعه جبته ، فتدخل بينه وبين جبته .

أنها تكون عند رأسه .

أنها تبتدره.

أنها تمسح التراب عن وجهه.

أنها تقول له قد آن لك أي قد حان لك ويقول هو لها قد آن لكما أي قد حان لكما .

الثالث والثلاثون : طيب ريح الشهيد :

وقد جاء عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله :" إني رجل أسود منتن الريح قبيح الوجه لا مال لي فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟" قال :" **في الجنة** " فقاتل حتى قتل ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :" **قد بيض الله وجهك وطيب ريحك وأكثر مالك** " رواه الحاكم وصححه ابن الملقن في البدر المنير والألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

فأخبر أن الله تعالى قد طيب ريحه بعد شهادته .

وقد ورد في تفسير قوله تعالى " **والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم** " أي طيبها لهم .

وقد جاء أن الشهداء يبعثون يوم القيامة ورائحة المسك تنبعث من دمائهم .

الرابع والثلاثون : علو درجة الشهيد في الجنة :

فالشهداء لا يكونون في أسفل الجنة مطلقا ، بل هم إما في وسطها أو في أعلاها ، فإن الشهداء هم أعلى منزلة من عامة المؤمنين وأفضل عند الله تعالى ، وليس بعد الصديقية منزلة إلا الشهادة ، وقد ورد عن سمرة بن جندب في حديث رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الطويل وفيه " **فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلت طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا نعم ...... والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس والذي يوقد النار مالك خازن النار والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء** " رواه البخاري .

ففي هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى دار عامة المؤمنين ، ثم صعد الشجرة فرأى دار الشهداء فوق دار المؤمنين ، فهذا يدل على أنهم أعلى من عامة المؤمنين .

وقد ورد عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه** " رواه مسلم .

وهذا يدل على علو منزلة الشهداء ، وإلا لما احتاج إلى التبليغ إليها .

الخامس والثلاثون : أن دار الشهداء أحسن الدور :

عن سمرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :" **رأيت الليلة رجلين أتياني ، فصعدا بي الشجرة ، فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالا أما هذه الدار فدار الشهداء** " رواه البخاري .

السادس والثلاثون : أن الشهادة تنال بها رحمة الله تعالى :

قال تعالى " **ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون** ".

السابع والثلاثون : أن الشهيد يدخل من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء :

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **القتلى ثلاثة ، رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو وقاتلهم حتى يقتل ، فذلك الشهيد الممتحن في جنة الله تحت عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو ، قاتل حتى يقتل ، فتلك ممصمصة ، محت ذنوبه وخطاياه ، إن السيف محاء للخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء ، فإن لها ثمانية أبواب ، ولجهنم سبعة أبواب ، وبعضها أفضل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله ، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل ، فذلك في النار ، إن السيف لا يمحو النفاق** " قال المنذري في الترغيب " رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له والبيهقي" وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

وهذا تشريف عظيم للشهيد أنه يتاح له الدخول من أبواب الجنة من أيها شاء.

الثامن والثلاثون : أن الشهيد ملك من ملوك الجنة :

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بخباء أعرابي ، وهو في أصحابه يريدون الغزو ، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء ، فقال : من القوم ؟ فقيل له : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يريدون الغزو ، فقال : هل من عرض الدنيا يصيبون ؟ قيل له : نعم ، يصيبون الغنائم ، ثم تقسم بين المسلمين ، فعمد إلى بكر له ، فاعتقله وسار معهم ، فجعل يدنو بكره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أصحابه يذودون بكره عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **دعوا لي النجدي فو الذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة** " قال : فلقوا العدو ، فاستشهد ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقعد عند رأسه مستبشرا أو قال : مسرورا يضحك ، ثم أعرض عنه ، فقلنا : يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه ؟ فقال :" **أما ما رأيتم من استبشاري أو قال : سروري فلما رأيت من كرامة روحه على الله تعالى ، وأما إعراضي عنه ، فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه** " رواه البيهقي في الشعب ، وحسنه المنذري في الترغيب ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

التاسع والثلاثون : أن الشهادة أعظم وأفضل أعمال الجهاد :

وهذا لا يحتاج إلى زيادة تقرير ، فما مضى من الأدلة كاف في تقرير ذلك ، وقد جاء عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال :" **أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك** " قال : فأي الإسلام أفضل ؟ قال :" **الإيمان** " قال : وما الإيمان ؟ قال :" **تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت** " قال : فأي الإيمان أفضل ؟ قال :" **الهجرة** " قال : فما الهجرة ؟ قال :" **تهجر السوء** " قال : فأي الهجرة أفضل ؟ قال :" **الجهاد** " قال : وما الجهاد ؟ قال :" **أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم** " قال : فأي الجهاد أفضل ؟ قال :" **من عقر جواده وأهريق دمه** " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ثم عملان هما أفضل الأعمال الا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمرة** " رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات كما قال الهيثمي ، وقال ابن النحاس ورجاله رجال الصحيح .

قال ابن النحاس في المشارع معلقا على هذا الحديث " فانظر رحمك الله كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد خلاصة خلاصة خلاصة الإسلام والشهادة في سبيل الله خلاصة الجهاد وأفضل أنواعه " انتهى .

الأربعون : فرح الشهداء بالفضل الذي يعطونه :

قال تعالى عن الشهداء " **فرحين بما آتاهم الله من فضله** " .

وهذا يدل على أنهم يعطون من الفضائل ما يصلون به إلى حد الفرح بذلك وأن هذا يستحق التضحية بالأرواح ، والفرح بالشيء فوق الرضا به فهو يتضمن الرضا وزيادة .

هذا ، ولم نأت على النصف من فضائل الشهداء ، ففضائلهم كثيرة وعظيمة ، لكن أحيل القارئ إلى الكتاب الآخر في فضائل الشهادة .

* * * *

الباب الثالث : نماذج من جهاد السلف

- روى ابن المبارك عن سعيد بن هلال أن سليمان بن أبان حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بدر ، أراد سعد بن خيثمة وأبوه أن يخرجا جميعا ، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأمرهما أن يخرج أحدهما ، فاستهما فخرج سهم سعد ، فقال أبوه: آثرني بها يا بني ، فقال: يا أبت إنها الجنة ، لو كان غيرها آثرتك به ، فخرج سعد مع النبي صلى الله عليه وسلم فقتل يوم بدر ، ثم قتل خيثمة من العام المقبل يوم أحد".

- وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال : عقرت يوم أحد في جميع جسدي حتى في ذكري " رواه الحاكم وغيره.

وقال قيس بن أبي حازم :" رأيت يد طلحة شلاء وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد" رواه البخاري.

- قال الذهبي في السير " عن معاذ بن عمرو قال: جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني فلما أمكنني ، حملت عليه ، فضربته ، فقطعت قدمه بنصف ساقه ، وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي ، فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجنبي ، وأجهضني عنها القتال ، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني ، وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها".

- ورد عند ابن المبارك عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ " فقال رجل من الانصار : أنا يا رسول الله ، قال: فخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعدا جريحا قد أثبت بآخر رمق ، فقال يا سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر له أمن الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال: فإني في الأموات ، أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام

، وقل له: إن سعدا يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم إن سعدا يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ".

- لما كان يوم اليمامة كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين ، وقد انكشف المسلمون حتى ظهرت حنيفة على الرجال ، فجعل زيد بن الخطاب يقول : أما الرجال فلا رجال ، وأما الرجال فلا رجال ، ثم جعل يصيح بأعلى صوته : اللهم إني اعتذر إليك من فرار أصحابي ، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ، ومحكم بن الطفيل ، وجعل يشد بالراية ، يتقدم بها في نحر العدو ، ثم ضارب بسيفه حتى قتل رحمه الله عليه ، ووقعت الراية ، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون : يا سالم إنا نخاف أن نؤتى من قبلك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي ، وقتل زيد بن الخطاب سنة اثنتي عشرة من الهجرة " رواه ابن المبارك .

- خالد بن الوليد رضي الله عنه ، سيف الله المسلول يقول :" ما ليلة تهدى إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام ، بأحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بها العدو " رواه أبو يعلى .
وقال وهو يبكي عند موته : " لقيت كذا وكذا زحفا ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء ".

- روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن سعد بن إبراهيم أنه مر برجل يوم أبي عبيد وقد قطعت يداه ورجلاه ، وهو يقول : " **مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** " فقال له بعض من مر عليه : من أنت ؟ قال : امرؤ من الأنصار".

- عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه ، فعن أنس رضي الله عنه ، قال : إن أبا طلحة « قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية " **انفروا خفافا وثقالا** " فقال : ألا أرى ربي يستنفرني شابا وشيخا ، جهزوني ، فقال له بنوه : قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر ، فنحن نغزو

عنك ، قال : جهزوني ، فجهزوه ، فركب البحر ، حتى مات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير " رواه أبو يعلى.

- قال ابن الأثير في الكامل " لما أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك ، خرج بالناس حتى قطع الباب ، فقال له شهريار: ما تريد أن تصنع ؟ قال: أريد غزو بلنجر والترك ، قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب ، قال عبد الرحمن: لكنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم ، وبالله إن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم ، قال: وما هم ؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الأمر بنية ، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم ، وحتى يلفتوا عن حالهم ، فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر فقالوا: ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت ، فهربوا منه وتحصنوا ، فرجع بالغنيمة والظفر ، وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، وعادوا ولم يقتل منهم أحد.

ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات ، فظفر كما كان يظفر ، حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحاً لهم فزادهم فساداً ، فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك ، فتذامرت الترك واجتمعوا في الغياض ، فرمى رجلٌ منهم رجلاً من المسلمين على غرة ، فقتله وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى منادٍ من الجو: صبراً عبد الرحمن وموعدكم الجنة ! فقاتل عبد الرحمن حتى قتل " انتهى كلامه.

- زهير بن قيس البلوي كان قد تولى الحكم من قبل عبد الملك بن مروان على إفريقية ، ومع ذلك لم يرده ذلك عن طلب الشهادة ، فقد قال عنه ابن الأثير في الكامل : "إن زهيراً رأى بإفريقية ملكاً عظيماً ، فأبى أن يقيم وقال: إنما قدمت للجهاد فأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك.

وكان عابداً زاهداً، فترك بالقيروان عسكراً وهم آمنون لخلو البلاد من عدو أو ذي شوكة ، ورحل في جمع كثير إلى مصر.

وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة إلى إفريقية لقتال كسيلة ، فاغتنموا خلوها ، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية ، وأغاروا على برقة ، فأصابوا منها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا ، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة ، فأخبر الخبر ، فأمر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم ، ورحل هو ومن معه ، وكان الروم خلقاً كثيراً ، فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال واشتد الأمر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم ، فقتلوا زهيراً وأصحابه ، ولم ينج منهم أحد ، وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية " انتهى كلامه .

- ذكر ابن الأثير في الكامل " لما ولى الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة سجستان ، وذلك سنة ثمان وسبعين ، مكث سنة لم يغز ، وكان رتبيل – وهو من ملوك الكفار – مصالحاً ، وكان يؤدي الخراج ، وربما امتنع منه.

فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة يأمره بمناجزته ، وأن لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله.

فسار عبيد الله في أهل البصرة وأهل الكوفة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ ، وكان من أصحاب علي ، ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فأصاب من الغنائم ما شاء ، وهدم حصوناً ، وغلب على أرض من أراضيهم ، وأصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضاً بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم ، وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً ، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب ، فسقط في أيدي المسلمين ، فظنوا أن قد هلكوا ، فصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرضه ، فلقيه شريح فقال له: إنكم لا تصالحون على شيء إلا حسبه السلطان من أعطياتكم ، وقد بلغت من العمر طويلاً ، وقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان وإن فاتتني اليوم الشهادة ما أدركها حتى أموت ، ثم قال شريح: يا أهل الإسلام تعاونوا على عدوكم ، فقال له ابن أبي بكرة: إنك شيخ قد خرفت.

فقال له شريح: إنما حسبك أن يقال بستان عبيد الله ، وحمام عبيد الله ، يا أهل الإسلام من أراد منكم الشهادة فإلي ، فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلاً ، وجعل شريح يرتجز ويقول:

أصبحت ذا بثٍ أقاسي الكبرا ❋❋ قد عشت بين المشركين أعصرا

ثمة أدركنا النبي المنذرا ❋❋ وبعده صديقه وعمرا

ويوم مهران ويوم تسترا ❋❋ والجمع في صفينهم والنهرا

وباجميراتٍ مع المشقرا ❋❋ هيهات ما أطول هذا عمرا

وقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا منهم ، فخرجوا من بلاد رتبيل " انتهى.

- روى ابن أبي شيبة عن سلمان بن ربيعة : قتلت بسيفي هذا مائة مستلئم كلهم يعبد غير الله ، ما قتلت منهم رجلا صبرا.

- ذكر الذهبي في السير عن أحمد السرماري قال وقد أخرج سيفه :" أعلم يقينا أني قتلت به ألف تركي ، وإن عشت قتلت به ألفا أخرى ، ولولا خوفي أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي " انتهى .

- وروى ابن المبارك عن ابن أبي عتبة الكندي قال : كنا نختلف إلى نوف البكالي إذ أتاه رجل وأنا عنده ، فقال: يا أبا يزيد رأيت لك رؤيا ، فقال: اقصصها ، فقال: رأيت أنك تسوق جيشا ، ومعك رمح طويل في سنانه شمعة تضيء للناس ، فقال: نوف لئن صدقت رؤياك لأستشهدن ، فلم يكن إلا أن خرجت البعوث مع محمد بن مروان على الصائفة ، فلما حضر خروجه ذهبت أودعه ، فلما وضع رجله في الركاب ، فقال: اللهم أرمل المرأة وأيتم الولد وأكرم نوفا بالشهادة ، قال: فغزوا فلما انصرفوا ، فكانوا بقباقب خرج العدو على السرج ، فكان أول من ركب فلما رآهم شد عليهم فقتل رجل ثم رجل ثم قتل ، فقال بعض من معه: فانتهينا إليه وقد اختلط دمه بدم فرسه قتيلين ".

- روى ابن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه قال : لما بعث أبو موسى عاملا على البصرة ، كان ممن بعث معه البراء ، وكان من وزرائه ، وكان يقول له: اختر من عملي ، فقال البراء : أو معطي أنت ما سألتك ؟ قال : نعم ، قال: أما أني لا أسألك إمارة مصر ، ولا جباية ، ولكن أعطني قوسي وفرسي ورمحي وسيفي ودرعي والجهاد في سبيل الله ، فبعثه على جيش فكان أول من قتل ".

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم ترنم ، فقال له أنس : اذكر الله أي أخي ، فاستوى جالسا وقال : أي أنس أتراني أموت على فراشي ، وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة ، سوى من شاركت في قتله ؟ " رواه الطبراني.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم :" كم من ضعيف متضعف ذي طمرين ، لو أقسم على الله لأبر قسمه ، منهم البراء بن مالك " ، فإن البراء لقي زحفا من المشركين ، وقد أوجع المشركون في المسلمين ، فقالوا : يا براء إن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال : إنك لو أقسمت على الله لأبرك ، فاقسم على ربك ، فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم ، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين ، فقالوا له : يا براء اقسم على ربك فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم ، وألحقتني بنبيك صـلى الله عليه وسلم ، فمنحوا أكتافهم و قتل البراء شهيدا " رواه الحاكم في المستدرك.

- قال ابن هذيل في تحفة الأنفس " وروي أن علي بن بكار رؤي في بلاد الروم يحمل على العدو فيطعن ، ويحمل فيطعن ، حتى دخل عليه علج فطعنه في بطنه ، فخرج تربه فنزل عن فرسه ، فأخذ بيده ورده في بطنه وشده ، ثم ركب وأخذ رمحه وجعل يحمل على العدو ، فلم يزل يقتل حتى قتل ثلاثة عشر رجلا ، وذكر في كتاب حياة القلوب أنه طعن فخرجت مصارينه على قربوس سرجه ، فردها في بطنه وشدها بعمامته ، وفعل ما ذكر ، وكان يقول: نفق عندي عشرون ومائة فرس ما منها فرس إلا اشتريته بمالي ، وروي عنه أنه كان إذا دخل

أرض الروم لا يضحك ، فقيل له: يا أبا الحسن ما نراك تضحك ؟ فقال : إنما نغزو غضبا لله ، والغضبان لا يضحك " انتهى كلامه.

- روى ابن المبارك عن حنظلة بن أبي سفيان أن سالما مولى أبي حذيفة كان حامل اللواء يوم اليمامة ، فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره ، فقطعت يساره ، فاعتنق اللواء ، وهو يقول " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل " "وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير " فلما صرع ، قال: ما فعل أبو حذيفة ؟ قيل: قتل ، قال: فما فعل فلان – لرجل سماه – ؟ قيل: قتل ، قال: فأضجعوني بينهما ".

- قال الذهبي في السير " قال صفوان بن عمرو: كان خالد بن معدان إذا أمر الناس بالغزو كان فسطاطه أول فسطاط بدابق " انتهى كلامه.

- روى ابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت رجلا يريد أن يشري نفسه يوم اليرموك ، وامرأته تناشده ، قال : ردوا هذه عني ، فلو أعلم أنه يصيبها الذي أصبت ، ما نفست عليها ، إني والله لأن استطعت لأمضي ولو يزول هذا من مكانه ، وأشار بيده إلى جبل ، فإن غلبتم على جسدي فخذوه ، قال قيس : فمررنا عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل في تلك المعركة .

- قال ابن عذاري في البيان المغرب في عقبة بن نافع " ودعا عقبة أولاده فقال لهم " إني قد بعت نفسي من الله عز وجل ، وعزمت على من كفر به حتى أقتل فيه وألحق به ، ولست أدري أتروني بعد يومي هذا أم لا ، لأن أملي الموت في سبيل الله ، وأوصاهم بما أحب ، ثم قال : عليكم سلام الله ، اللهم تقبل نفسي في رضاك ثم مضى بعسكره ، فكانت النصارى تهرب من طريقه يمينا وشمالا ، وهو يستفتح البلدان ويغزو في سبيل الله " انتهى .
وقد استشهد عقبة رحمه الله لما غدر كسيلة البربري بالمسلمين ، وأخذ يجمع الجموع من الكفار لقتال عقبة ومن معه من المسلمين ، وقد كان أبو المهاجر مع عقبة فقال أبو المهاجر: عاجله قبل أن يقوى جمعه ، وكان أبو

المهاجر موثقاً في الحديد مع عقبة ، فزحف عقبة إلى كسيلة ، فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه ، فلما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول أبي محجن الثقفي:

كفى حزناً أن تمرغ الخيل بالقنا ❋❋ وأترك مشدوداً علي وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وأغلقت ❋❋ مصارع من دوني تصم المناديا

فبلغ عقبة ذلك فأطلقه ، فقال له: الحق بالمسلمين وقم بأمرهم ، وأنا أغتنم الشهادة ، فلم يفعل وقال: وأنا أيضاً أريد الشهادة ، فكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم ، وتقدموا إلى البربر وقاتلوهم ، فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم أحد " ذكر ذلك ابن الأثير في الكامل .

- قال ابن عذاري في البيان المغرب عن الحاجب المنصور صاحب الخمسين غزوة في الأندلس التي انتصر في جميعها على الكفار " وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد ، فكان كذلك " انتهى كلامه ، وتوفي الحاجب المنصور وهو في مسيره لغزو فرنسا ، وقد قضى في الجهاد ثلاثين عاما .

❋ ❋ ❋ ❋

الباب الرابع: في الوعيد على ترك الجهاد والقعود عنه

تمهيد :

الجهاد شعيرة من شعائر الإسلام وفريضة من فرائضه الواجبة ، تحقق المصالح العظيمة للأمة الإسلامية وللدين الإسلامي ، ويترتب على تركها المفاسد العظيمة كذلك ، وهي إما على الوجوب الكفائي أو الوجوب العيني بحسب الأحوال ، وعلى ذلك فتركه والتقصير فيه يوجب الوعيد على صاحبه عندما يكون على الوجوب العيني ، وكذا يوجب الوعيد على الأمة عندما يكون الوجوب كفائيا ، ويتحمل كل فرد المفاسد المترتبة على ترك الجهاد .

وهنا نستعرض ما جاء في الوعيد على ترك الجهاد والتقصير فيه ، فمن ذلك :

أن ترك الجهاد سبب للتعرض لتوبيخ الله تعالى وإنكاره :

قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** " .

ففي هذه الآية ينكر الله تعالى على كل من ترك الجهاد ورضى بالحياة الدنيا عن الآخرة ، فمن ترك الجهاد فقد تعرض لتوبيخ الله تعالى وإنكاره .

أن ترك الجهاد سبب للعذاب الأليم في الدنيا والآخرة :

قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير** " .

وقال تعالى " **قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما**" .

وهذا عام يشمل الدنيا والآخرة ، وقد يكون العذاب عاما عندما يكون الترك عاما ، وقد يكون العذاب خاصا عندما يكون الترك خاصا ، فالعذاب العام الدنيوي كما جاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ما ترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب** " رواه الطبراني في الأوسط ، و حسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ، وكذا ابن النحاس في المشارع والألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

وهذا العذاب قد يكون بتسليط الكفار على المسلمين بالقتل والتشريد وغير ذلك ، وقد يكون بالعذاب الإلهي بحبس المطر ونحوه ، ويكون بكل ما يطلق عليه عذاب عام يشمل جميع الناس أو أكثرهم من المصائب والبلايا .

وأما العذاب الخاص فيشمل كل المصائب والعقوبات التي تنزل على الشخص في أمور الدنيا والدين ، ومن أعظم ذلك ما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **من لم يغز أو لم يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة** " رواه أبو داود ، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة .

قال في عون المعبود " " **أصابه الله بقارعة** " أي بداهية مهلكة ، قرعه أمر إذا أتاه فجأة وجمعها قوارع كذا في المجمع " انتهى .

وقال القاري في المرقاة " قوله " **أصابه الله بقارعة** " أي بشدة من الشدائد ، والباء فيه للتعدية أي ببلية تقرعه وتهلكه وتصرعه وتدقه ، ولذا سميت القيامة بالقارعة قبل يوم القيامة " انتهى.

وقد قال تعالى " **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** " فهدد كل من آثر هذه الأمور على الجهاد بانتظار أمر الله وعقوبته .

وهذا في العقوبات الدنيوية ، أما الأخروية فعذاب جهنم نسأل الله العافية كما قال تعالى " **وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون** ".

وقال تعالى في بني إسرائيل الذين نكلوا عن دخول الأرض المقدسة وقتال من فيها " **قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض** " فعاقبهم أربعين سنة محرومين من دخول الأرض المقدسة بسبب نكولهم عن الجهاد .

أن ترك الجهاد موجب للفسق لصاحبه :

فمن آثر الدنيا وترك الجهاد المتعين عليه مع عدم العذر ، فقد أتى بكبيرة من كبائر الذنوب المتوعد عليها وخذل الأمة والدين ، وبذلك تزول عدالته ويحكم بفسقه ، ولا تقبل شهادته فضلا أن يستفتى ويجعل إماما من أئمة الدين مهما بلغ في العبادة والزهد والعلم مبلغه ، فلن يشفع له ذلك في الحكم عليه لقوله تعالى " **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** " فحكم بفسق من آثر هذه الأمور على الجهاد في سبيل الله .

قال ابن حجر الهيتمي في الزواجر " الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة ترك الجهاد عند تعينه ، بأن دخل الحربيون دار الإسلام ، أو أخذوا مسلما وأمكن تخليصه منهم ، وترك الناس الجهاد من أصله ، وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين" انتهى .

وقال تعالى عن قوم موسى لما تخلفوا عن دخول الأرض المقدسة وقتال من فيها " **قال ربي إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** " فوصفهم بالفسق لكونهم تخلفوا عن الجهاد الذي أمروا به ، بل قال تعالى عن الذين تخلفوا يوم أحد " **وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان** ".

أن ترك الجهاد يوجب الطبع على القلب :

قال تعالى " **رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** " .

فمن ترك الجهاد عند وجوبه بلا عذر فقد رضي بأن يكون مع الخوالف وهم النساء والذرية ، ومن رضي بأن يكون مع الخوالف طبع الله على قلبه ومن طبع الله على قلبه فإنه لا يفقه ولو حمل من العلم ما حمل فهو كالحمار يحمل أسفارا .

أن ترك الجهاد سبب في وقوع الفساد في الأرض وفي أهلها وفشو الكفر والشرك والظلم واستعباد أهلها بعضهم البعض:

قال تعالى " **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** " .

وقال تعالى " **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا** " .

ففي هذه الآيتين يبين الله تعالى أنه لولا دفع الله للناس بعضهم ببعض ، وذلك التدافع يكون بالجهاد والقتال ، لحصل الفساد في الأرض ، ولهدمت المساجد والصوامع وقطعت الصلوات ، فإن الكفار إذا استولوا على بلد ولم يدفعهم أهل البلد ، فإنهم لن يتركوا أهله على حالهم من العبادة والتمسك بالدين الحق ، بل لن يرضوا حتى يخرجوا أهل هذا البلد المسلم من دين الإسلام ، ويدخلونهم في دينهم ، والأندلس خير شاهد .

أن ترك الجهاد سبب لوقوع الأمة في الذل والهوان عند باقي الأمم :

وهذا أمر متحتم ولابد ، فإن الجهاد سلاح الأمة الإسلامية ، فمتى قوي فقد قوي سلاحهم ، فلم يتجرأ عليهم أحد من الأمم ، وهذا كان واقع الأمة الإسلامية عندما كان يقومون بالجهاد حق قيامه ، فكانت الأمم الأخرى تهابهم وتخنع لهم وتؤدي لهم الجزية ، وكان للأمة الإسلامية العزة والرفعة عليهم ، ومتى ضعف سلاحهم أو فقدوه تجرأت عليهم سائر الأمم وساموهم القتل والذل والهوان ، وسلبوا الأمة شرفها وعزتها كما هو حال الأمة اليوم ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم** " رواه أحمد وأبو داود ، وصححه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام وصححه الألباني في الصحيحة .

وفي رواية " **إذا ضن الناس بالدينار و الدرهم و تبايعوا بالعينة و تبعوا أذناب البقر و تركوا الجهاد في سبيل الله أدخل الله تعالى عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم** " وصححها الألباني في صحيح الجامع .

قال المناوي في التيسير " " **إذا تبايعتم بالعينة** " بكسر العين المهملة وسكون التحتية أن يبيع سلعة بثمن لأجل ثم يشتريها منه بأقل منه ثم قال " **وأخذتم أذناب البقر** " كناية عن الاشتغال بالحرث " **ورضيتم بالزرع** " أي بكونه همتكم

ونهمتكم " **وتركتم الجهاد** " أي غزو أعداء الدين " **سلط الله عليكم ذلا** " بضم الذال المعجمة وكسرها ضعفا واستهانة " انتهى .

وقال الشوكاني في النيل " قوله " **ذلا** " بضم الذال المعجمة وكسرها أي صغارا ومسكنة ، ومن أنواع الذل الخراج الذي يسلمونه كل سنة لملاك الأرض ، وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الاسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه وهو إنزال الذلة بهم ، فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان " انتهى.

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **يوشك ان تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قال قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن** " قال قلنا : وما الوهن ؟ قال :" **حب الحياة وكراهية الموت** " رواه أحمد ، وقال الهيثمي وإسناد أحمد جيد وصححه الألباني في الصحيحة .

وفي رواية لأحمد " **حبكم الحياة وكراهيتكم القتال** ".

فبين بهذا أن ترك الجهاد والانشغال بالدنيا عنه سبب لتسليط الكفار وإذلالهم للمسلمين وتجرؤهم عليهم ، وأن هذا لا ينزع عنهم إلا بالرجوع إلى الدين وهو الجهاد الذي تركوه .

قال القاري في المرقاة " أي تتداعى عليكم بأن يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال ، كما تداعى أي تتداعى الآكلة بالمد وهي الرواية على نعت الفئة والجماعة أو نحو ذلك كذا روي لنا عن كتاب أبي داود ، وهذا الحديث من أفراده ذكره الطيبي رحمه الله ، ولو روي الأكلة بفتحتين على أنه جمع آكل اسم فاعل لكان له وجه وجيه ، والمعنى كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضا إلى قصعتها أي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفوا صفوا ، كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم " ثم قال " ولكنكم غثاء بالضم ممدودا قال الطيبي رحمه الله كغثاء السيل ، قال الطيبي بالتشديد أيضا ما يحمله السيل من زبد ووسخ ، شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم وخفة أحلامهم ، وخلاصته : ولكنكم تكونون متفرقين ضعيفي الحال خفيفي البال مشتتي الآمال "انتهى .

أن ترك الجهاد من خصال وشعب النفاق ومن تركه فهو متصف بخصلة من خصالهم :

قال تعالى " **إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** ".

وقال تعالى " **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله** " .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق** " رواه مسلم .

وقال كعب يوم تخلف عن غزوة تبوك " فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه بالنفاق أو رجلا من عذر الله من الضعفاء" متفق عليه.

وهذا لأن الجهاد أشق شيء على المنافقين ، وهم معروفون بتركه وكراهيته وعدم تحديث النفس به مطلقا ، لكونهم يبغضونه أصلا ويشق عليهم ، وينقصهم الإيمان الذي به يحتسبون الأجر في الجهاد ويطيقون المقام فيه .

قال القاري في المرقاة " قوله " **مات على شعبة من نفاق** " أي نوع من أنواع النفاق ، أي من مات على هذا ، فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد ، ومن تشبه بقوم فهو منهم " انتهى .

قال شيخ الإسلام في الفتاوى " الإعراض عن الجهاد ، فإنه من خصال المنافقين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم " **من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق** " رواه مسلم ، وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى الفاضحة ؛ لأنها فضحت المنافقين " انتهى .

أن ترك الجهاد يوقع في الهلاك في الدنيا والآخرة :

قال تعالى " **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** " .

عن أسلم أبي عمران قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل على العدو ، فقال الناس : مه مه ، لا إله إلا الله ، يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب : إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام ، قلنا

: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها ، فأنزل الله تعالى " **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** " فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية " رواه أبو داود وصححه الألباني في الصحيحة.

أما الهلاك الدنيوي فهو يشمل عقاب الله تعالى للتاركين بما يكون به هلاكهم ، سواء أكان بعذاب يبعثه الله عليهم أو بتسليط الكفار عليهم .

وأما الهلاك الأخروي فبدخولهم النار ، بكونهم تركوا شعيرة من شعائر الله المتحتمة والواجبة عليهم .

أن ترك الجهاد يفوت المصالح العظيمة للمسلمين :

كالأجر العظيم المترتب على الجهاد والمغنم وتحصيل الشهادة في سبيل الله ونشر الدين الإسلامي في أصقاع الأرض وإعزازه وتوسعة الرقعة الإسلامية وقوة أهلها وغير ذلك من المصالح التي لا يمكن تحصيلها إلا عن طريق الجهاد أو يكون الجهاد هو أفضل طريق لتحصيلها .

أن ترك الجهاد سبب لحصول التفرق والعداوة بين المسلمين :

وهذا واقع مشاهد ، فإن الجهاد سبب لتلاحم الأمة ضد عدوها الكافر وانشغالها بقتاله عن العدوات فيما بينهم ، قال شيخ الإسلام " فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم الله بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض " انتهى من الفتاوى .

وليعلم القاعد عن الجهاد أنه عند القعود والإعراض والتأخر عن الجهاد من الناس تكون هناك سنة الاستبدال فعلى المؤمن أن يكون من الذين يستعملهم الله في الدين بإقبالهم على الجهاد لا من الذين يستبدلهم بإعراضهم ، كما قال تعالى " **إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا** " وقال تعالى " **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكون أمثالكم** "

وقال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** "

* * * *

خاتمة

في نهاية المطاف في هذا الكتاب نقف وقفة أخيرة مع النفس ما هي صانعة بعد قراءته ؟

هل ستبادر بالعمل والنفير والخروج إلى ساحات النزال والأبطال وتسابق الركب الرجال في الوصول إلى الجنات العالية ورضا الرب المتعال ، فذلك شأن علاة الهمم وأهل القمم.

أم ستركن إلى الدنيا وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وترضى بالحياة الدنيا من الآخرة وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل فترضى بالقليل عن الكثير وبالسفل عن العلو وبالدناءة عن الرفعة فذلك شأن خِساس الهمم .

وختاما أسال الله تعالى أن يوفقنا لطاعته ونيل مرضاته وأن يجعل هذا الكتاب خالصا لوجهه الكريم وذخرا لي عنده يوم القيامة وأن يجعل له القبول والنفع بين عباده ، وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * * *

الفهرس